مجلة البيان – العدد 12 ، شوال 1408هـ / يونيو 1988م

الافتتاحية

التقريب بين المذاهب والأديان
حيلة الأقوياء حلم الضعفاء

أن يتداعى قوم مختلفون في وجهات النظر إلى مؤتمر أو اجتماع ليدلي كل بوجهة نظره أمام الآخر، ويوضح جوانب من فكره، قد تكون خافية على الآخرين، لتكون صورة الفكر الذي يحمله واضحة أمام الناس لا لبس فيها ولا غموض؛ فهذا لا مانع منه، ولا بأس فيه. حيث إن هـذا لا يـعـدو أن يـكون تجليـة للـحق المـنشود، وإزالة لأوهام قد تعلق في أذهان الآخرين بفعل مؤثرات شتى سابقة.

ولكن الذي ينعم النظر في كنه ما يسمى بدعوات التـقـريب بين النحـل والأديان، ويستبطن حقيقتها سيجد أن هذه الدعوات - إن لم تكن ترمي إلى عكـس ما تـدعو إليه - فهي على الأقل مشبوهة مدخولة.

وحتى يقـام الـدلـيـل على هذه الـدعـوى فلابد من تحليـل الأجـواء التي تنبعث منها هذه الدعوات، ومن نظرة في حالة من يدعو إليها، ومن ينتدب للمشـاركة فيهـا، ومن دراسـة جدوى هذه الدعوات سواء في صفوف من تعقد باسمهم؛ أو الجهة التي تنظم وتشجع مثل هذه التظاهرات.

لـو تتبعنـا الـظـروف والأجـواء التي تنشـط فيهـا دعـوات التقريب لسهل علينا أن نرى أن الداعين إليها والذين يرجون قطف ثمرتها يعيشون في "مأزق" وتحيط بهم "أزمة"،ويظنون أن دعوتهم قد تخرجهم من هذا المأزق وتنتشلهـم من هذه الأزمـة. فمـا هو المأزق عند دعاة التقارب الإسلامي المسيحي مثلاً؟

إن دعوات التقـارب والحـوار الإسلامي المسيحي كلها تقريبًا نشأت في الجانب المسيحي، ومع أن هذا الجـانب هو الغـالـب غلبة مادية؛ لكن من السهل إدراك الأزمة التي يعيشها من يمثلونه، فقد وجدوا أن قرونًا طويلة من الصراع والصدام مع الإسلام لم تحل مشاكلهم معه، ولم يلمحوا أن حملة العقيدة الإسلامية يمكن أن يلينوا على العسف والقهر، ولم تبدُ عليهم آثار من تعب المصاولة في حلبـات الـتذويب أو الـتشويه، بل يفاجأ هؤلاء - وهم في عنفوان تسلطهم المادي وهيمنتهم - بالإسلام الذي عملوا على تجريده من كل قوة،وسخروا لـحـرب أهـلـه كل أنـواع الأسلحـة، فنهبوا مقدراتهم، وضربوا وحدتهم، وبثوا بينهم كل سموم العصبيات، وتجاهلوا ثقافتهـم، وأبـرزوا عـيـوبهـم، وكـبتـوا محاسنهم، بل أظهروا محاسنهم في ثوب العيوب، وضربوا بين شعوبهم وبين الإسلام بـالأسداد، على الـرغم من ادعائهم حرية الفكر

يفاجئون بهذا الإسلام لا زال حياً له نفس يعلو وجسم يتحرك. فكيف السبيل وما العمل؟!
هنـا يلبسـون جلـد الحَمـَل، ويقدمـون أنفسهـم على أنهم يريدون أن يفهموا الإسلام، فقد اكـتشفوا كثيرًا من النقاط الإيجابية فيه وفي أهـلـه، ومن الخسـارة أن تضيـع الـجهود في الحروب والصراعات، ولابد من اكتشاف نقاط الالتقاء، وتضييق الفوارق، فتجوز الخدعة على بعض مفكري المسلمين، فيكتبون البحوث التي غالبًا ما تكون مملوءة بالنفاق والتشويه والتمييع.
ومما له دلالة يحسن التوقف عندها أن الداعين لمثل هذه الندوات تجمعهم صفة واحدة وهى خدمة المفاهيم الغربية، فهم إما أن يكونوا من السفراء السابقين في الدول الإسلامية، أو من الـذين يدرسـون الإسلام في بعض الجامـعـات الغـربية التي تقدم خدماتها لوزارات الخارجية هناك، أو من رجال الكنيسة الذين يقومون بمهام التنصير في البلاد الإسلامية.
أما فيما يتعلق بالجانب الإسلامي فإن الذين ينتدبون للمشـاركـة غـالبـاً ما يكونون إما من الـمفتين الرسميين، أو أصحاب مناصب لها شبهة تعلق بدين الإسلام من الـذين تـرسـلهـم دولـهم كـي يدفـعـوا عنهـا تهمـة التعصب والانغلاق، ويبرزوا بالنيابة عنها وجه الإسلام المتطور!
أما من حيث النظر في نتائج دعوات التقارب وندوات الحوار فإنها لا تؤدي إلى شيء مما يسمى التقارب أو تضييق شقة الخـلاف، ولا تعطي أي نتـيجة عـمـلـية على هذا الصعيد، اللـهـم إلا تحـقـيـق أهـداف الأذكيـاء من الـداعـين إلـيها، كجمع المعلومات عن المسلمين، وتسجيل الشهادات التنازلية التي يقيدونها عندهم كسـابقة يستشهدون بها فيما يستقبلون من أحـداث ومـشـاكـل مع الـمسـلمـين، فتكـون هـذه الـشهـادات زيـادة في رصيدهم الذي يـستخدمونه لـشـق الصفوف وزيادة الهوة بين إسلاميين: إسلام هو الإسلام، وإسلام آخـر متطور يجتهـدون في إحـلالـه مـحـل الإسلام الشَّموس الذي ضاقت بهم السبل والحيل في تأهيله وترويضه.
وتبقى وراء ذلك الخلافات كما هي، وهذا أمر طبيعي، فالقفز فوق الخلافات العقائدية لا يحـلـهـا ولا يـذيـبـهـا، وتجاهـل قـرون متطـاولة من العداء والصراع ذر للرماد في العيون، واستهانة بتاريخ كل من الإسلام والمسيحية، فـضـلاً عن أنه من المستـحيـل الـتبرؤ من أي تاريخ إلا بالتبرؤ أولاً من العقيدة التي انبثق منها وعنها ذلك التاريخ.
وقل مثل ذلك في ما يطرح من دعوات لإزالة الخلاف السني- الشيعي، فهي دعوات كثيرًا ما تنبثق من الجانب الذي يواجه طريقاً مسدودًا، وتهدف إلى تسويق أصوله لتكون مقبولة عند الـطـرف الآخر، هذا مع ملاحظة التساهل إلى درجة السطحية والغفلة - إن لم نقـل الغباء - عند من يختـارون

نـاطـقيـن باسم أهل السنة، والمداورة والإيهام والعناد الذي لا يخفيه لحن القول عند محاوري الشيعة.
على أن المثير فيما يتعلق بالحوار السني - الشيعي هو الجهل المطبق الذي يلف الداعين إلى ذلك، لا الجهل فيما ينبغي أن يـكـون عليه تصـور المسلـم في هذا الـعصـر، بل الجهل بحقيقـة عـقـيدة الآخـر وأسسهـا، والنظر إلى الخلاف على أنه لا يعدو خلافًا على قضايا فرعية، أو على أمـور أخـرى عفّى عـليهـا الـزمـن، فـمـاذا عـسـانا أن نقول فيمن يطرح - كمنطلقات لإزالة الخلاف -ما يلي:
* نحن والشيعة متفقون على أن السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن للتشريع.
*وأنه لا يمكن طرح مسألة الإمامة كمشروع معاصر.
*وأن مشكلة المهدي المنتظر ليست من الأهمية بمكان.
إلى غير ذلك مما يعكس عقيدته وفكره هو، ونظرته إلى سلبيات العقيدة الأخرى.
كيف يقال إن السنة والشيعة متفقون على أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع؟ أية سنة؟! هل يعتد أحد الطرفين بما يسميه الآخر سنة؟! وترك البحث في الخلافات وإثارتها يرضي به أهل السنة، ولكن هل هناك عاقل يظن أن الشيعة ترضى به؟ إذن؛ لانهار أساس مكين من أسس عقيدتهـا، فلـو وقـع ظلـم على شيـعـي من أي جهة حتى لـو كانت يهـودية أو مسيحية سرعان ما يتناخى القوم بـ "يالثارات علي والحسين!"ولا حاجة للقول أن التشيع - كما آل معناه في هذا العصر - يقوم على جملة أركان منها: البراءة واللعن، البراءة ممن، ولعن من؟!
وكيف يمكن التخلي عن فكرة الإمامة؟ أليست أصلاً من أصـول الـدين عند الشيعـة تعـادل الإيـمـان بـالله وملائكتـه وكتـبـه ورسلـه واليوم الآخر والقدر؟ والمنطق الإيماني يقول: إن الإيمان بهذه الأمور كل لا يتجزأ، وإن كل الأصول الشيعية تنبع من مشكلة الإمامة وإليها تعود، وكذلك قضية المهدي المنتظر، لو ترك القوم الاعتقاد بالمهدي لانهار ركن "الرجعة" وما ينبني عليه ويتفرع منه - وهو كثير- عندهم..
ليس من مقصود هذه الكلمة أن تستقصـي الأصـول الـتي يخالـف فيها الشيعة أهل السنة، ولكن الـهـدف هو إظهـار أن مقولة التقريب أسطورة من الأساطيـر، لـو أنتجت نتـائجهـا المنطقية لجعلت كل طرف يتخلى عما هو أساسي في عقيدته، ولتشكل من ذلك فريق ثالث لا هو سني ولا هو شيعي، فهل يمكن تصور وجود هذا الفريق في المجتمع الإسلامي؟ نعم، إنه فريق "الإلحاد"، وإلا فالمشاهد أن قضية "التقريب بين المذاهب لا تروج إلا في صفوف أهل السنة، نظرًا للكثـرة العدديـة والانفـتـاح الـذي يعيشون فيه - إن

لم نقل التسيب - والتعصب والخوف من الآخر لم يوجد إلا في صفوف الطوائف الأخرى سواء على صعيدها الشعبي أو الرسمي. وأمامنا تجارب من الماضي والحاضر على سبيل المثال لا الحصر.
فدار التقريب التي كانت يشرف عليها مرجع إيراني هو العلامة "القمي" كانت في مصر، في حين أنه لم يكن لهذه الدار ولو فرع واحد في أي جـزء من إيـران، وقد يقال، من بـاب التذاكي والشطارة: إن حكومة إيران على أيام سيء الذكر الشاه السابق لم تكن إسلاميــة، ولكن نقول: هل تغير الحال على عهد طيبي الذكر حكـام إيران الحـالـيين؟ إن الـدستـور الإيراني منَّ على أهل السنة حين اعترف بهم وجعلهم على سوية واحدة وفي مرتبة اليهود والـنصـارى والـبهائيين والـزرادشتين، هذا في الـوقت الـذي لا نلحظ فيه هذا التفريق بين المسلمين أنفسهم ولا بينهم وبين غيرهم في الماضي والحاضر في أي دستور آخر غير الدستور الآنف الذكر.
وبعد...
فإن هذا الكلام لا يتوجه إلى أصحاب الأهواء والأغراض، وإنمـا يتجـه إلى الـذين تسوءهـم حـال المسـلـمـين ومـا هـم عـلـيـه من الفرقة والضعف والتخلف الذي نرى أن أسبابه ترجع بالدرجة الأولى إلى الجهل بعدة أمور:
* الجهل بحقيقة ما هم عليه من ديـن، وخلطهـم بين الأصـل والـفرع والواجب والمسنون.
*الجهل بأعداء هذا الدين وتاريخهم ونفسياتهم ودوافعهم التي تحركهم.
*الـجهـل بـالـماضي كيف وقع، وبالحاضر كيف يسير، وعدم القدرة على ربط كل حدث بالآخر ربط الأسباب بالنتائج، حتى طمع فينا كل طامع، ونعق بين ظهرانينا كل ناعق.
إن بدعة التقريب والتقـارب شـأنها شأن البدع جميعًا، تقدم نفسها على أنها خدمة للحق والحقيقة، وجهد في سبيل الله، ولكنها - علم ذلك مبتدعوها والمدندنون لها أو لم يعلموا - جهد في سبيل الشيطان.

مجددون معاصرون

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عندما أعلن عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر عام 1931 م كان قد مضى قرن كامل على احتلال فرنسا لهذا البلد المسلم، وكانت استراتيجية هذا المحتل هي أن تصبح الجزائر قطعة مـنه أو بتعبير أدق كانت السياسة المتبعة هي فرنسة الجزائر، ولذلك مارس هــذا الاسـتعمار أشد أنواع الاضطهاد والقهر وسلب الأموال، وتحويل المساجد إلى كنائس، وفرض اللغة الـفـرنـسية كلغة ثقافة وتخاطب، واستطاعت قوات الاحتلال الفرنسي

القضاء على جميع الثورات الـتـي فـجـرهـا العلماء وزعماء البلاد، هذه الثورات التي كانت تفتقد الشمولية، والقدرة على التنظيم، رغـم تـضـحياتها وبطولة زعمائها، ولذلك كانت تقمع في كل مرة، وما أن حل الثلث الأول من القرن الـعـشـريـن حـتـى كـان الـظــلام قد خيم على الجزائر كلها، فما تبقى من المساجد التي هدمها العدو كانت تحت رقابته لا يخطب فيها إلا من يــنـافــق لـــه، وألـغـيت المحاكم الإسلامية وبدأت جحافل المبشرين تزحف نحو الجزائر.
يقول الشيخ البشير الإبراهيمي واصفاً هذه الحالة: »كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا بالمدينة المنورة (1913) أن البلاء الـمـنـصــــب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه، وبعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتعرقان لحمه ويفسدان عليه دينه ودنياه:
1- استعمار مادي هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار.
2- واستعمار روحاني يمثله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب، المتجرون بالدين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضـي وطواعية. والاستعماران متعاضدان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته، ومظهرهما مــعـــًا تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم فتسعى في الانفلات، وتفقيرها لئلا تسعى بالمال على الثورة«(1).
أرادت فرنسا شيئاً وأراد الله شيئاً آخر، وإذا أراد الله شيئًا سهل أسبابه، وكان من كرمه سبحانه وفضله على أهل الجزائر أن يسر بروز رجال أعلام استفادوا من تجارب الذين سبقوهم، ودرسوا مشكلات أمتهم دراسة دقيقة، وقرروا العمل الجاد لإخراج المسلمين في الجزائر مما هم فيه إلى حالة ترضى الله سبحانه وتعالى، وكان فارس هذه الحلبة والبارز في ميدانها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله، فبعد رجوعه إلى الجزائر من رحلته العلمية إلى تـونــس ومــصـر، ثم الحجاز والشام(2) كانت فكرة الإصلاح والعمل المنظم قد اختمرت في ذهنه ولم يبق إلا التمهيد لها، فكان يبث هذه المفاهيم لكل من يشهد حلقاته العلمية في التفسير، يــقــول رحـمــه الله: "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة"(3).
ثم يلتفت رحمه الله إلى العلماء والقادة فيقول:
"ما أصيب المسلمون في أعظم ما أصيبوا به إلا بإهمالهم أمر الاجتماع ونظامه، إما باستبداد أئمتهم وقــادتـهم، وإما بانتثار جماعتهم بضعف روح الدين فيهم، فعلى أهل العلم - وهم الـمـسـؤولــون عن الـمـسـلمين بمالهم من إرث النبوة فيهم - أن يقوموا بما أرشدت إليه هذه الآية(4) الكريمة

فينفخوا فـي الـمـسـلمين روح الاجتماع والشورى في كل ما يهمهم من أمر دينهم"(5).
وهكذا كان رحمه الله يمهد لما صـمـم عـلـيـه من تـأسـيس جمعية تلم شمل العلماء والدعاة الصادقين، ولا تقتصر على فئة دون فئة ولا على إقليم دون إقليم.

مراحل تأسيس جمعية العلماء:

1-مرحلة الشعور بالخطر الجاثم على صدور أهل الجزائر والتفكير بالحلول، وأسباب الداء وكيفية الدواء، وهذه المرحلة كانت بوادرها في المدينة المنورة عام 1913م عندما التقى الشيخ ابن باديس مع رفيق دربه وجهاده الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان مهاجرًا إلى الحجاز للدراسة والاطلاع، وقد وصف الإبراهيمي هذه المرحلة أدق وصف فقال:
"كان من تــدابـــيـر الأقــدار الإلهية للجزائر، ومن مخبآت الغيوب لها أن يرد عليَّ بعد استقراري بالمدينة المنورة سنة وبضعة أشهر أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس أعلم عــلــمــاء الشمال الأفريقي-ولا أغالي - وباني النهضات العلمية والأدبية والاجتماعية والســيـاسية للجزائر... كنا نؤدي صلاة فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي ونـخـــرج إلى منزلي فنسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد فندخل مع أول داخــل لصلاة الصبح. ثم نفترق إلى الليلة الثانية إلى نهاية ثلاثة الأشهر الــتـي أقـامـها الشيخ بالمدينة، كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبيرًا للوسائل التي تنهض بـهــا الجزائر ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صوراً ذهنية تتراءى في مخيلتنا، وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة.
وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913 ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا عام 1931"(6).
2-التمهيد لجمع المسلمين وبث روح التعاون والعمل الجماعي في صفوفهم، بواسطة دروس التفسير في مساجد قسنطينة وكانت الإدارة الــفــرنــســيـة تعرقل دروس الشيخ ابن باديس فينتقل من مسجد لآخر، كما أن هذه المرحلة كانت فترة نــضوج لأبرز قادة الجمعية الذين رحلوا إلى المشرق وتنقلوا بين المدينة المنورة ودمشق والقاهرة، واتــصــلــوا بـــأعلام الدعوة السلفية في هذه المدن، وتدارسوا معهم واقع العالم الإسلامي والحلول اللازمة للنهوض.
3-زار ابن باديس عام1924 الشيخ الإبراهيمي في مدينة (سطيف) وأخبره بأنه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم (الإخاء العلمي) تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جـهـودهـم، وتقارب بين مناحيهم في التعليم والتفكير، وعهد

ابن باديس إلى الإبراهيمي مهمة وضـــع القانون الأساسي للجمعية، فوضعه الإبراهيمي واتفقا عليه(7) ولكن هذا المشروع لم ير النور لعدم تجاوب عـلـمــاء قسنطينية مع رغبة ابن باديس ولأن الاستعداد لمثل هذه الأعمال لم ينضج بعد.
4-أصر ابن بــاديـس على إنشاء جمعية للعلماء وأنه لابد من عمل إصلاحي كبير، وتنازع العلماء رأيان: الأول تـبـنــاه الإبراهيمي وخلاصته: أن يكون هدف الجمعية تعليميًا، وأن يربي جيل متخصص في مـخـتـلـــف الفنون والمعرفة ينطلق المربون به في حملة شاملة على الباطل والبدع.
والرأي الثاني: وقد تبناه ابن باديس ويقوم على مهاجمة المبطلين والمبتدعين منذ البداية، ولأن البدع قد طال عليها الأمد وشاب عليها الوالد وشب عليها الولد، فلا يطمع في زوالها إلا بصيحة مخيفة تزلزل أركانها، وإعــصـــار شــديــد يكشف الستر عن هذا الشيء الملفق ليتبينه الناس على حقيقته.
وقد تم الاتفاق على الأخـــذ بـالــرأي الثاني. وبناء على ذلك أصدر ابن باديس جريدة (المنتقد) عام 1925 التي يبين اســمـهــــا عن معنى النقد الذي يخالف منهج أرباب الطريقة (اعتقد ولا تنتقد) و كتب ابن باديس في المـنـتـقـد عن دعوة محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية ونقل عن (المنار) رسالة عبد الوهاب الـنـجــدي إلى عبد الله الصنعاني(8).
ثم صدرت(الشهاب)(9) وفيها الدعوة إلى مناصرة فكرة الإصلاح وتجميع القوى وأن يكتب إلى الشهاب من يوافق على هذه الأفكار، فانهالت الرسائل المؤيدة، ومنها رسائل من الشيخ الطيب العقبي، ومبارك الميلي.. وقد جاء في رسالة الشيخ العربي التـبـسـي: "أزفت ساعة الجماعة وتصرم عصر الفرد "(10) وفي عام 1931 نشرت (الـشـهـــاب) اقتراحًا بتأسيس جمعية العلماء وكان الغرض هو جمع القوى الموزعة من العلماء على اختلاف حظوظهم من العلم للتعاون على خدمة الدين الإسلامي واللغة العربية، والنهوض بالأمة(11).
استجاب كثير من العلماء لدعوة ابن باديس وتقرر الاجتماع في الساعة الـثـامـنة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة 1349 هـ الخامس من مايو 1931 في نادي الترقي بعاصمة الجزائر، وكان عدد المجتمعين اثنين وسبعين من العلماء وطلبة العلم، وكـان هــذا الاجـتـمـــاع بمثابة جمعية عمومية لوضع القانون الأساسي ثم عقد اجتماع آخر وانتخب الشيخ ابن باديس رئيسًا والشيخ الإبراهيمي نائبًا للرئيس.
إن تــأخـيـــر قــيــام الـجـمعية إلى هذا الوقت مع أن نشاط ابن باديس وحديثه عن العمل الجماعي ورد في أوائل الـعـشــرينات إنما كان لتطلع ابن باديس إلى مشاركة جميع العلماء الذين يؤمنون بالإصلاح، وهذا يتطلب جهدًا

كبيرًا والدخول في حوار مع كل فرد منهم، كما يتطلب وضوح الأهداف والغايات.
5- حاول بعض الصوفية من أعضاء الجمعية والمشايخ الذين لهم ارتباط بالإدارة الفرنسية السـيـطـــرة على الجمعية ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعًا، وفي عام 1932 خرجوا من الجمعية وانتخب ابـن بـاديــس مرة ثانية رئيسًا بالإجماع، وبذلك صفت الجمعية لرجال الإصلاح الذين كان منهجهم واضحًا منذ البداية.
أما السؤال المتبادر، لماذا دخل هؤلاء في الجمعية أصلاً؟ فالجواب:
أن ابن باديس تــعــاون مع المعتدلين من الطرقيين والعلماء الرسميين ولم يتعاون مع الملوثين الذين ظهرت أباطيلهم وأراد من هذا التعاون شيئين:
الأول: أراد أن يواجــه المستعمرين وعموم أعداء هذا الدين بموقف إسلامي موحد، وموقفه هــذا يــذكـرنا بـالــوفـــد الذي قابل به ابن تيمية قازان زعيم التتار وكان يضم الصوفيين والمبتدعين.
الثاني: كان ابن باديس يعرف كيف يتحرك، وكيف يتعامل مع الناس، وكيف يستفيد من الظروف والمناسبات التي تمر، وكان يضع هذه الأمور كلها في موضعها وإطارها الصحيح، وهذا التعاون لم يغير أو يبدل شيئًا من قناعات ابن باديس وزملائه، بل كانوا أصحاب القرار وأهل الأكثرية في الجمعية.
ولابد من الإشارة هنا إلى إيمان ابن باديس بالمرحلية ولذلك نراه ينتقي العبارات لكل مرحلة انتقاء دقيقًا وذكيًا، فعندما أخذ الترخيص للجمعية كانت الغاية التي أعلنت في القانون الأساسي "محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل، وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل" وهذه الأخيرة فيها تلميح إلى الصوفية، ولكن بعد الانتخاب الثاني 1932وتصفية الجمعية من أعوان الإدارة دعا ابن باديس إلى "الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم، ودعوة المسلمين كافة إلى السنة النبوية المحمدية..."(12).
وبعد مضي خمس سنوات على تأسيس الجمعية أكد البشير الإبراهيمي على غايات الجمعية وخاصة في الأمور التالية:
1- محاربة الطرقية وأنه لا يتم في الأمة الجزائرية إصلاح مع وجود هذه الطرقية المشؤومة.
2- نشر التعليم الحر البعيد عن إشراف الحكومة بين صفوف الصغار والكبار.
3- الوقوف في وجه التبشير والإلحاد.
وهكذا كلما قويت الجمعية ووجد ابن باديس أن الفرصة مناسبة لتوسيع دائرة عمل الجمعية، أعلن عن الأهداف الكبرى لها، وإذا لم يتح له ذلك ذكر أهدافه عن طريق الصحافة التي كان يمتلكها هو شخصيًا وليست تابعة للجمعية مثل(المعتضد) و(الشهاب).

أهداف الجمعية:

في عام 1356 هـ 1938 م حددت الجمعية أصولها ومبادئها في النقاط التالية:
1- الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده وأرسل به جميع رسله، وكمله على يد نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي لا نبي بعده.
2- القرآن هو كتاب الإسلام.
3- السنة "القولية والفعلية" الصحيحة تفسير وبيان للقرآن .
4- سلوك السلف الصالح (الصحابة والتابعين وتابعي التابعين) تطبيق صحيح لهدي الإسلام.
5- البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقربة ولم يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فعله، وكل بدعة ضلالة.
6- المصلحة كل ما اقتضته حاجة المسلمين في أمر دنياهم ونظام معيشتهم وضبط شؤونهم وتقدم عمرانهم بما تقره أصول الشريعة.
7- التوحيد أساس الدين، فكل شرك في الاعتقاد أو في القول أو في الفعل فهو باطل مردود على صاحبه.
8- اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيء ما شرك وضلال،. وبناء القباب على القبور والذبح عندها لأجلها، والاستغاثة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية، فمن فعله جهلاً يُعلّم ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل.
9- الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ، وتجميد العقول، وإماتة الهمم.
10- عند المصلحة العامة من مصالح الأمة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدع الوحدة، ويتحتم التآزر والتكاتف حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة بإذن الله ثم بقوة الحق، وادراع الصبر وسلاح العلم والعمل والحكمة: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ))

عبد الحميد بن باديس

بقسنطينة الجامع الأخضر أثر صلاة الجمعة 4 ربيع الأول 1356(13).

وما كانت الشعارات التي يرفعها ابن باديس: "القرآن إمامنا، والسنة سبيلنا، والسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا"(14) إلا تلخيصاً لهذه المبادئ.

إن النزعة السلفية واضحة في هذه الأصول والغايات المعلنة ولا شك أن رحلة ابن باديس وزملائه إلى المشرق واطلاعهم على حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واجتماعهم بعلماء الشام وما كتبه رشيد رضا في المنار له أثر كبير في توجهات الجمعية، كما أن جيل المصلحين الأول مثل الشيخ صالح بن مهنا قد تأثر بالحركة السلفية، ومع ذلك فإن ابن باديس وزملاؤه لم يكونوا نسخة

مطابقة لعلماء الشام أو الجزيرة بل كان عندهم من سعة الأفق أحيانًا أكثر من الذين تأثروا بهم، وقد تظهر الدعوة السلفية أحيانًا في قطر من الأقطار الإسلامية دون أن يطلع أهله على ما في القطر الآخر وذلك لأنها دعوة حق يهتدي إليها من أوتي فطرة سليمة وقلب واع.

إنجازات الجمعية:

قامت الجمعية بأعمال كبيرة وجليلة وجهود تستحق التقدير والثناء الحسن، فلها دور كبير في بث الوعي الديني وإحياء المفاهيم الإسلامية الصحيحة من الكتاب والسنة ومحاربة الخرافيين الذين يتاجرون بالدين ويتعاونون مع المستعمرين، وقد سدوا منافذ العلم وسيطروا على عامة الشعب بسبب الجهل، وقد كانت كتابات ابن باديس والإبراهيمي مزلزلة لأركانهم فانقمعوا وانحسروا والتف الشعب حول العلماء العاملين.

يقول البشير الإبراهيمي ساخرًا من الطرقيين: "القوم عارفون بالله وإن لم يدخلوا كتابًا ولم يقرءوا كتابًا، وكل من ينتسب إليهم عارف بالله بمجرد الانتساب أو بمجرد اللحظة من شيخه، ومن تنقيحاتهم تحديد مراحل التربية(الخلوية) لمعرفة الله بثلاثة أيام (فقط لا غير) تتبعها أشهر وأعوام في الانقطاع لخدمة الشيخ من سقي الشجر ورعي البقر وحصاد الزرع وبناء الدور مع الاعتراف باسم الفقير والاقتصار على أكل الشعير..."

وأنشطة الجمعية متشعبة وشاملة يصعب الحديث عنها كلها ولذلك سنقتصر على ذكر نشاطها التعليمي الذي كان من أهدافه الرئيسية إحياء اللغة العربية لغة القرآن والإسلام بعد أن حاول المستعمر إقصاء اللغة تمهيداً لإقصاء الدين. ولا شك أن هذه مهمة صعبة، وهي أمل كل المصلحين الذين عاشوا قبل هذه الفترة وبعدها، فقد كان من المجمع عليه عندهم أن أهم وسيلة لترقية الأمة ونقلها من ذلها وضعفها هو التربية والتعليم، لإنشاء أجيال جديدة تتسم بالسلوك الإسلامي والفهم العميق لهذا الدين، وقد حققت الجمعية كثيرًا من هذا مما يعتبر في عصرها من المعجزات.

كانت المدارس الحكومية قليلة جدًا، وهي خاضعة خضوعًا تامًا لإشراف الإدارة الفرنسية في مناهجها ومدرسيها، بل كانت فرنسا تتعمد التجهيل، يقول محمد فريد وجدي الذي زار الجزائر 1901: "هجرت ربوع العلم وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتعًا للجهل وكادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى" (15).

ويقول الشيخ الإبراهيمي: "إن مدارساً عامرة بهذا الصنف من الأطفال الذي لم يجد إلى التعليم الحكومي سبيلاً، وإن عدده لكثير إنه ليقارب التسعين بالمائة من أبناء الأمة"(16).

قصدت الجمعية لهذا الخلل، فشجعت الجمعيات الإصلاحية في كل مدينة لإنشاء مدرسة، وهذه الجمعية تتكفل بدفع رواتب المعلمين وتشجيع الأهالي

على التبرع، وكانت جمعية العلماء تشرف على هذه الجمعيات المحلية وتشرف على اختيار المدرسين، وقد بلغ عدد هذه المدارس عام 1935 سبعين مدرسة ويقدر عدد التلامذة بحوالي 30.000 بين صبي وفتاة.
وكانت جمعية العلماء تنظم للمدرسين دورات تدريبية لرفع مستواهم التعليمي، ومناقشة أساليب ونظم التعليم وفي عام 1944 نشطت الجمعية نشاطًا بارزًا فأنشأت خلال عام واحد ثلاثاً وسبعين مدرسة في مدن القطر وقراه (17) وفي عام 1948 بلغت مدارس الجمعية حوالي140 مدرسة، وفي عام 1954 ازداد العدد إلى 170 مدرسة، وقد بلغ عدد تلاميذ هذه المدارس عام 1951 (36.286) تلميذًا وتلميذة منهم 16.286 يدرسون دراسة كاملة في المدارس العربية ولا يلتحقون بالمدارس الحكومية، وبقية الطلبة سهلت لهم الجمعية أمر متابعتهم الدراسة في مدارسها بأن جعلت لهم دوامين للتعليم في الصباح والمساء. وفي عام 1947 أسست الجمعية أول معهد للتعليم الثانوي في قسنطينة أطلق عليه اسم عبد الحميد بن باديس، وبدأت الجمعية تشجع خريجي هذا المعهد للالتحاق بجامعات الزيتونة في تونس أو الأزهر أو جامعة دمشق أو جامعة بغداد، وكأن الجمعية كانت تهيئ الشباب لعملية بناء الجزائر المستقلة.
وهذا الجهد العظيم هو صراع مرير مع الإدارة الفرنسية لتثبيت هوية هذا الشعب وأنه مسلم عربي، ففي هذه المدارس تعلم الأطفال العربية لأن التعليم في المدارس الحكومية كان كله باللغة الفرنسية، وهذه الأمور كانت واضحة في ذهن ابن باديس وصحبه من اليوم الأول وأن نهضة الإسلام مقرونة بنهضة اللغة العربية.
فجزاهم الله خيرًا عن الإسلام والمسلمين، من رجال قاموا بواجبهم حق القيام.
يتبع

الهوامش:

1- د.تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر /100.
2- سنتكلم عن دراسة ابن باديس في الزيتونة ورحلته إلى المدينة ودمشق والقاهرة وأثر ذلك في فكره وشخصيته في ترجمة مفصلة لحياته إن شاء الله.
3- د. أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين / 96 نقلاً عن تفسير ابن باديس.
4- كان رحمه الله يفسر قوله تعالى: ((إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وإذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ))[النور: 62].

5 - تفسير ابن باديس: دار الفكر / 559.
6- د. تركي رابح: عبد الحميد بن باديس /172 نقلاً عن البصائر.
7- الخطيب: جمعية العلماء / 96.
8- الطالبي: ابن باديس وآثاره 1/ 81.
9- أصدر ابن باديس جريدة الشهاب عام 1925 ، والجدير بالذكر أن الشيخ حسن البنا رحمه الله أصدر جريدة باسم الشهاب أيضاً عام1947 وأشار في افتتاحية العدد الثالث إلى أسبقية مجلة الشهاب التي أصدرها الشيخ ابن باديس ورجا أن تسير مجلته على طريق مجلة الشهاب الجزائرية.
10- الخطيب: جمعية العلماء / 98.
11- المصدر السابق / 102.
12- الخطيب: جمعية العلماء / 114.
13- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. قانونها الأساسي ومبادؤها الإصلاحية. دار الكتب - الجزائر.
14- سجل الجمعية / 76.
15- الخطيب: جمعية العلماء المسلمين / 64.
16- تركي رابح: ابن باديس / 156.
17- الخطيب: جمعية العلماء / 210.

الفيديو والتلفزيون
خطر مؤكد على الأطفال

يظـهـر الـتأثـيـر الهـائـل للفـيـديو والتلفزيون على الأطفال بشكل واضح عندما يتم إدخال الجهازين أو أحدهما إلى البيت بـعـد نشـوء الأطفال ووعيهـم، إذ يبدو ذلك جليًا في تبدل تـكـوينهم الشخصي والنفسي. ويستطيع المراقب إدراك ذلك مـن خلال نـشـوء اهتـمـامـات جـديـدة لـدى الأبـنـاء وأنمـاط من السلوك تحـاكي سـلوك الممثلين أو الشخصيات الخرافية الوهمية، أما أولئك الأطفال الذين يولدون والتلفزيون في بـيـوتهم فإنه يغدو بعد حين أهم مـوجـه لتـفـكيرهـم وسلوكهم وذوقهم واهتماماتهم، وقد لا يلاحـظ ذلك كـثـيـر مـن الآبـاء والأمهات، وخاصة أولئك الذين لا يهمهم أين تسير السفينة ومن يوجه الدفة.

ويؤكد الدكتور إبراهيم إمام خطر التلفزيون - والفيديو - على الأطفال، ويراه خطراً ثابتاً، ويحذر من التقليل من ذلك أو تهوين الأمر، فيقول:

"إن تأثير الإعلام على الأطفال تأثير ثابت، ولا ينبغي للمسؤولين أن يقللوا من خطره، أو يهونوا من أمره، ولاشـك (في) أن طريـقـة مـعالجة التلفـزيـون للتراث الثقافي العالمي نفسه، وخاصـة أسلـوب استخـدام الكـامـيرا يـجـعل

الـتلفزيون مصنعًا للخوف والرعب بالنسبة للموضوعات العنيفة، وعندما يخلط الأطفال بين الواقع والخيال، ويتعرضون للتأثير الضار بـاسـتمرار، ويرون المجرم بطلاً خفيف الظل، والقانون لا ينتصر إلا في النهاية، ورجل الشرطة موضع تهكم وسخرية، والقاضي إنسانًا مترددًا ومضحكًا، فإن احتمال عدم التأثير بذلك كـلـه أمـر جـد عسيـر، وقد يكـون صحيحًـا أن تأثـيـر التلفزيون - والفيديو - على الأطفـال الأصحـاء يـختـلف في شدته ونوعيته عن تأثيره على الأطفـال الـذين لا يحسـون بالأمر، ولكن لابد أن يكون التلفزيون مؤثرًا على كلا النوعين"(1).

التلفزيون والتحصيل الدراسي لدى الأطفال:

يشكو الآباء والمربون من آثار التلفزيون السلبية في علاقة الأطفال بالكتاب والمدرسة، وتبدو نتائج ذلك ظاهرة على معظم الأطفال الذين يتابعون المشاهدة. ومن الملاحظ لدى العاملين أن مما يؤدي إلى الـتأخـر الـدراسي، وعدم مـتابـعـة المعلم أثناء الشرح سبب كثير منه التعلق ببرامج التلفزيون، والسهر الطويل في متابعة ما يجري على الشاشة المرتعشة، إذ وجد أن الأطفال الذين لديهم أجهزة تلفزيون أو فيديو يذهبون للنوم متأخرين عن نظائرهم في السن ممن لا يوجد لديهم، ويبدو أيضًا أن التلفزيون يتداخل مع الواجبات المنزلية التي يكلف بها التلاميذ(2) وبذلك يبدو الطفل سلبيًا أمام ما يدور في قاعة الدرس.
وفي ربيع عام 1977 ظهر كتاب بالغ الآثار والأهـمـية في الأسـواق الغربية، وهو الكتاب الوحيد الذي ناقش تجربة التلفزيون ومشاهدته، وبين أهميتها عن محتوى البرامج التي تظهر على شاشته. هذا الكتاب من تأليف (ماري دين) وقد أسمته (المخدر الكهربي) وكان سببًا لضجة كبيرة عند الآباء القلقين، وعلماء النفس والمربين، ولقد أكد الكتاب أن مشاهدة الأطفال التلفزيون تسبب عندهم نوعًا من الإدمان، وأنها تحول جيلاً كاملاً منهم إلى أشخـاص يتميزون بالسلبية، وعدم التجاوب، ولا يستطيعـون اللـعـب والابتكـار، ولا يستطيعون حتى التفكير بوضوح(3)، فكيف يتسنى لمثل هؤلاء الأطفال استيعاب الدروس وتركيز اهتمامـهـم فيمـا يلقى عليهم أو يطلب منهم التفكير فيه إذا كانت معظم أوقاتهـم تستنفد أمام الشاشة الصغيرة؟.
وفي تقرير لمنظمة اليونسكو العالمية، رقم (33) تبين أن الأطفال، في البلاد العربية، من سن السادسة إلى سن السادسة عشرة يقضون ما بين اثنتي عشرة ساعة وأربع وعشـريـن ساعـة أمام التلفزيون أسبوعيًا، وأن سن الخامسة حتى السابعة هي الفترة التي يبدي فيها الطفل أقصى اهتمام بمشاهدة التلفزيون، وفي المرحلة التي تسبق هذه الـفتـرة فإن الطـفـل في سـن الثلاث سنوات يقضي 45 دقيقة يوميًا أمام التلفزيون، وفي سن أربع سـنوات ينفـق ساعـة ونصف الساعة يوميًا(4).

ولم تزل الدراسات والتقارير العلمية تتوالى في تبيان ما للأجهزة السمعية البصرية من أثر بالغ الضرر فيما يظهر على شاشاتها، ولذلك فإن تقريراً آخر نشر في مجلة اليونسكو عن نتيجة الاستطلاع الياباني عن وسائل الإعلام جاء فيه: إن فيض المعلومات التي تقدمها أجهزة الإعلام يعطل القدرات التأملية الخلاقة لدى الأطفال. وأوضح التقرير أن الأطفال كانوا ضحية لبرامج التلفزيون والمجلات الهزلية. وذكر الأطباء والمدرسون الذين شملهم الاستطلاع أن وسائل الإعلام أشد ضررًا بالأطفال وخاصة الـبرامـج الـترفـيهية الساقـطـة والمجلات الهزلية التي ترد إليهم (5)، وإن حشو مخيلة الـطـفـل، وإشغال فكره بهذه الترهات لا تدع له مجالاً لاستيعاب المعلومات التي يتلقاها في المدرسة، مما يؤدي في أغلب الأحيان إلى كراهية الطفل للمدرسة والكتاب لشعوره بقصورهما وعجزهما عن جذبه إليهما كما يجذبه التلفزيون والفيديو، إذا أنهمـا لا يـتطلبـان من الـطـفـل مجـهـودًا ولا حركة، ويحشوان رأسه بالخيالات والأوهام، ويضحكانه ويعلمانه الرقص والغناء، وكيفية إقلاق راحة الآخرين(*)

الهوامش:

1 - الدكتور إبراهيم إمام: الإعلام الإذاعي والتلفزيون، ص 138.
2- الدكتور عبد الرحمن عيسوي: الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، ص79.
3- جيري ماندر: أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون، ص 137.
4- مجلة العربي: العدد 317 إبريل (نيسان) 1985.
5- سيد شلبي والأمير أباظة: الفيديو والمجتمع الإسلامي، ص 33.
(*) فقرة من كتاب: الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، ,مروان كجك.

مناقشة ابن عباس للخوارج
دروس وعبر

معن عبد القادر

أصيبت الأمـة الإسلامـيـة في القرون المتأخرة في أعز ما تملك وهو عقيدتها الصافية النقـيـة التي جاء بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- من عند الله عز وجل، وسار عليها صحابته رضوان الله عليهم، وتبعهم في ذلك ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، ولا تزال طائفة من الأمة سائرة عليها كما أخبر بذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

وهذه المصيبة العظيمة لها جذور تاريخية ترجع إلى القرون الأولى. فقد بدأت هذه المصـيبـة بمقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- على يد مجوسي حاقد، ثم قتل ذي النورين عثمان بن عفان --رضي الله عنه-،

بمؤامرة دنيئة، ثم ظهر القول بنفـي القدر، ثم أوقدت الفتنة بين المسلمين، ودار القتال بينهم، ثم خرجت الخـوارج بمقـولـة شنيعة، ثم ظهر التشيع، وازداد أهله غلواً وبعداً عن الدين، وانتشر الرفض في بقاع شتى من العالم الإسلامي.

وفي كل مرة كانت هذه الانحرافات تجد من يتصدى لها من الرجال الأفذاذ الذين جمعوا بـيـن الـعـلـم والـعـمـل، والجهـاد في سـبـيل الله، وكان هؤلاء يعملون على تنقية الأجواء
الإسلامية من كل انحراف ومن كل دخيل.

وفي الأسطر التالية أثر يتحدث عن نموذج لانحراف خطير ظهر في هذه الأمة، وكيف تصدى لهذا الانحراف رجل تخرج من مدرسة الرسول -صلى الله عليه وسلم- التي تخرج منها أعظم الرجال.

وهذا الأثر فيه فوائد شتى، لم يكن المقصود استخراجها جميعاً، بل ترك ذلك للقارئ الكريم، وإنما حسن التنبيه على بعض فوائده على وجه الاختصار.

وطريقة عرض هذا الأثر هي: عرض جميع رواياته التي وقفت عليها ومن ثم إدراج الزيادات على السياق الأصلي، وقد أسوق نصًا غير النص الأصلي - في بعض المواطن - لأن في ألفاظه زيادة فائدة.

وسياق الرواية الأصلي هو لمتقدم المخرجين لهذا الأثر من أصحاب مصنفات الحديث.

وهذا نص الأثر:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار - على حدتهم - وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب وأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- معه، قال: جعل يأتيه الرجـل فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتى يخرجوا فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفـعلون. فلما كان ذات يوم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين: أبرد عن الصلاة فلا تفـتـني حتى آتي القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله تعالى وكنت حسن الخلق لا أوذي أحدًا. قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلاً جهيرًا. قال: ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة. قال: فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن (*) الإبل، وجوههم معلمة من آثار السجود، عليهم قمص مرحضة، وجوههم مسهمة من السهر. قال: فدخلت. فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس! ما جاء بك؟ وما هذه الحلة، قال: قلت ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْق)) قالوا: فما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ومن عند صهر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله تعالى يقول: ((بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ))، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم.
قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وختنِه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟
قالوا: ننقم عليه ثلاثاً.
قال: وما هنّ؟
قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ((إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ))، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل.
قال: قلت وماذا؟
قالوا: وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم.
قال: قلت وماذا؟
قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين. فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.
قال: قلت أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.
قال: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- ما لا تنكرون [ينقض قولكم] أترجعون؟
قالوا: نعم.
قال: قلت أما قولكم: حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ))، إلى قوله: ((يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ)). وقال في المرأة وزوجها: ((وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا)). أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة. وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال.
قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم.
قال: أخرجت من هذه؟
قالوا: اللهم نعم.
قال: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ((النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ))، فأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؛ فنظر بعضهم إلى بعض.
قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعا قريشًا يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فكاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان. فقال: اكتب يا علي هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: والله إني لرسول الله حقًا وإن كذبتموني، اكتب يا على: محمد بن عبد الله ، فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان أفضل من علي -رضي الله عنه- وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه. أخرجت من هذه؛ قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة.

هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في (المصنف ، باب ذكر رفع السلام 10/157 رقم 18678) ومن طريقه - بنفس اللفظ تقريبًا -أخرجه أبو نعيم في (الحلية 1/318)، وأخرجه البيهقي في(السنن الكبرى 8/179)، وابن عبد البر القرطبي في (جامع بيان العلم وفضله 2 / 103 طبعة المنيرية)، ويعقوب بن سفيان البسوي في (المعرفة والتاريخ 1/522)، والحاكم في (المستدرك 2/150-152)، وأخرج بعضه الإمام أحمد في(المسند 1/342،5/67 رقم 3187، طبعة شاكر) كلهم أخرجوه من طريق عكرمة بن عمار ثنا أبو زميل الحنفي ثنا ابن عباس به، ولكل منهم لفظ مختلف وزيادات أثبتنا منها ما كان فيه زيادة معنى.

وهذا الأثر نسبه الهيثمي في (مجمع الزوائد) إلى الطبراني وأحمد في المسند، وقال: رجالهما رجال الصحيح، وأشار إليه الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية 7 / 282)، وابن الأثير في (الكامل) وابن العماد الحنبلي في (الشذرات)، وذكر غيرهم سياقات أخر لهذه القصة ولكنها عن غير ابن عباس من غير هذا الطريق، وإنما مقصودنا رواية ابن عباس فقط..

وقال أحمد شاكر في تعليقه على (المسند 5 / 7 6 رقم 3187): إسناده صحيح. اهـ

أصول ودروس مستفادة من الأثر:

أولاً: لقد أتى الخوارج من قبل فهمهم السقيم لنصوص الشرع، ويرجع ضلالهم إلى أسباب أهمها:

1- فهم النصوص ببادئ الرأي، وسطحية ساذجة، دون التأمل والتثبت من مقصد الشارع من النصوص، فوقعوا في تحريف النصوص وتأويلها عن معناها الصحيح.

2-أخذهم ببعض الأدلة دون بعض، فيأخذون بالنص الواحد، ويحكمون على أساس فهمهم له دون أن يتعرفوا على باقي النصوص الشرعية في المسألة نفسها، فضربوا بعض النصوص ببعض (وبهذا أسكتهم ابن عباس -رضي الله

عنه-، فقد كان يأتيهم بباقي الأدلة في الموضوع نفسه، فلا يجدون لذلك جواباً).
وسبب ضلال الخوارج هو سبب ضلال طوائف عديدة من المسلمين. يقول الشاطبي رحمه الله أن أصل الضلال راجع إلي (الجهل بمقاصد الشريعة، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم)(1).
ثانياً: الحرص على وحدة المسلمين وجماعتهم، وتوحد صفهم، وهذا ظاهر من موقف على -رضي الله تعالى عنه- ابتداء حين (جعل يأتيه الرجل فيقول يا أمير المؤمنين: إن القوم خارجون عليك فيقول: دعهم حتى يخرجوا، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوا وسوف يفعلون) فكان -رضي الله عنه- حريصًا على أن لا يأتي إلى الخوارج بشيء من القتال ونحوه يفرق به المسلمين، ويضعف شوكتهم، ما لم يخرجوا هم عليه، أو يؤذوا المسلمين ببدعتهم.
وهذا الأصل متمثل أيضًا في موقف ابن عباس -رضي الله عنهما- في حرصه على الخروج إليهم وانتدابه نفسه للتفاهم معهم، وتفنيد شبهتهم وإرجاعهم إلى الحق.
فهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلمون من الامتناع عما يضعف شوكتهم، ومن بذل الجهد في جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم، ولابد أن نُتْبِع هذا الأصل بأصل آخر وهو:
ثالثًا: ولعله من أصل الأصول وأعظمها لكثرة ما تشتد إليه حاجة المسلمين ألا وهو (السبيل إلى وحدة المسلمين وجمع صفهم).
إن وحدة المسلمين أصبحت مقولة يقولها كل مـسـلم، وكل جماعة، فالكل ينادي بالوحدة والـكـل يزعـم أنـه سـاعٍ إلـيهـا حريص عليهـا، ولكن ما هو السبيل الحق إلى تحقيق هذه الوحدة، هنا موضع الخلاف، وهنا تزل الأقدام، وتضل الأفهام، وتنحرف الأقلام.
إن وحـدة المسـلـمـين مـطـلـب شـرعـي ومقصد عظيم من مقاصد الشريعة، فلا بد أن تكون الـوســيلة إلـيه شـرعــية. إن وحدة المسلمين يجب أن تكون عبادة نتقرب بها إلى الله عز وجل، والله لا يعبد إلا بما شرع، وكل عمل ليس عليه أمر الشرع فهو رد كما أخبر بذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم- .
إن وحدة المسلمين بمعناها الشرعي الصحيح، تعني أن يعودوا جميعًا إلى الفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- على فهم السلف الصالح، هكذا وهكذا - فقط - يمكن أن نتحد، وهذا هو السبيل الوحيد لوحدة الصف، وهذا الذي سلكه ابن عباس وأقره عليه على -رضي الله تعالى عنهما-.

ذهب ابن عباس -رضي الله عنهما- إلى الخوارج حتى يعيدهم إلى الصف الإسلامي، فبين لهم أولاً وقبل أن يناظرهم المنهج الصحيح، فقال: (أرأيت إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- مالا تنكرون ...) إذن هو الكتاب والسنة والعودة إليهما، وقد كان صرح لهم قبل ذلك بالفهم الذي ينبغي أن نفيء إليه إذا اختلفت أفهامنا فقال: (جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن عند صهره، عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله) الله أكبر! ما أنصع هذا المنهج وما أشد وضوحه، الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
وبعد أن بين لهم المنهج شرع يدحض حجتهم، ويفند شبهتهم، ويوضح فساد منهجهم فمن عاد منهم وتنازل عن معتقداته وآرائه، واعتقد اعتقاد جماعة المسلمين فقد عاد إلى الصف، ومن أبى وأصر على معتقده فهو خارج على الصف ولا سبيل للوحدة معه، بل عندما آثار بقية الخوارج الفتنة، قام إليهم علي -رضي الله عنه- فقاتلهم ولم يتحرج في ذلك.
إن السـبـيل إلى وحــدة المسلـمين هو الاتحاد على الأصول الثابتة من الكتاب والسنة وكل سبيل آخر للوحدة لا تقره الشريعة، ولا يجوز لنا - ونحن عباد الله سلمنا أمرنا إليه - أن نجعل منها صنمًا نستجيز من أجله كل وسيلة غير مشروعة.
إن الـوحــدة الـتي تنشأ عن ضم الطوائف المختلفة في الأصول في دائرة واحدة، وإعطائها مسمى واحد على اختلاف عقائدها، هي وحدة غير شرعية، وإن الصف الذي ينشأ عنها ليس مرصوصًا.
ولنتأمل في قول الله عز وجل: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً))، ثم قال: ((وَلاَ تَفَرَّقُوا))، يقول الشاطبي رحمه الله تعليقًا على الآية: (تبين أن التأليف إنما يحصل عند الائتلاف على التعلق بمعنى واحد، وأما إذا تعلقت كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخرى فلابد من التفرق وهو معنى قول الله تعالى: ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)) (2).
إذن فتضييع الأصول من أجل الوحدة سبيل غير شرعي ، بل هو فوق ذلك عمل لا يقره العقل، وإليكم التوضيح.
إن التفرق بين المسلمين حاصل ولابد، فكلام الله حق ((وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)) وكلام رسوله حق »تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة« ... وقال:»سألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها« فإذن فإنه يستحيل في الواقع أن يزول الاختلاف تمامًا وأي مسلم يوقن بمعاني هذه النصوص، ليس عنده طمع في ذلك فهذا أمرٌ قضى الله به، ولكنه ستبقى طائفة على الحق.
فإن كان الأمر كذلك فهل يعقل أن نفرط في أصولنا-ونحن معاقبون إن فرطنا - من أجل السعي في حصول أمر مستحيل.

إن كل مسلم مخلص صادق غيور يحزن على حال المسلمين، ويغتم له ويتأسف عليه أسفًا شديدًا، ولكن ليس الحل أبدًا أن نفرط في الأصول من أجل تحقيق أمر قد قرر الشارع أنه لا يكون، كيف وقد أمرنا الله بقـتـال طائفة من المسلمين إن بـغـت وهل يكون القـتـال إلا تـفـرقـة؟ بـل وفـيـه ما هو أشد من ذلك، ولكنه أمر الله ((وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)).
وعذرًا أخي القارئ إن أطلنا في هذا الأصل، فلقد فحش فيه الخطأ والانحراف.
رابعًا: الحكم في تقييم الرجال: إن أحوال الخوارج من كثرة العبادة والاجتهاد فيها غير خافية على أحد، فلقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: »تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم.. « وقال ابن عباس في وصفهم كما في هذا الأثر: (...لم أر قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود...) ومع كل هذا فلقد أتوا ببدعة خطيرة، ووضعوا بذور الخلاف بين المسلمين، وليس من مسلم سليم العقيدة إلا ويذكرهم في معرض الذم، ولم يذكرهم العلماء في مصنفاتهم إلا للتحذير من بدعتهم وبيان فساد معتقدهم دون أدنى فخر واعتزاز بعبادتهم.
إن المنهج الإسلامي الواضح، يدلنا على أنه يجب تقييم الرجال أولاً من منطلق معتقداتهم وتصوراتهم، وجميع السمات الأخرى - إذا أقرها الشرع - تأتي بعد ذلك لا قبله. فلو انطلقنا في الحكم على الخوارج من خلال شدة اجتهادهم في الـعـبادة، وجـعـلـنا ذلك هو المقياس الأول في الحكم عليهم، لكان ينبغي أن نجلهم ونحترمهم، فنرفع درجـتهم حتى فوق درجة الصحابة، إذ يقول الرسول، صلى الله عليه وسلم، لصحابته في شأن الخوارج: »تحقرون صلاتكم مع صلاتهم« فكم يكون هذا التقييم سخيفًا ؟
ولكن الأمر يختلف تمامًا، ويعود إلى نصابه الصحيح، عندمـا يحكـم عليـهـم مـن خلال معتقداتهم وتصوراتهم فنرى أنهم قد ابتدعوا في دين الله بدعة خطيرة فاحشة، فوضعوا بذور الخلاف والفتنة.
إن الاعتقاد الصحيح، يليه العمل الصالح، هو الذي يميز المسـلـم الحـق المنـتمي إلى أهل السنة والجماعة، أما كل الاعتبارات الأخرى فإنه يشترك فيها المسلم الحق مع غيره من أهل البدع والضلال. فلا ينبغي أن تكون معيارًا أساسيًا.
ونتيجة لانحراف هذا الأصل عند كثير من الإسلاميين -فضلاً عن عامة المسلمين -وجدنا من غالى في الثناء على جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما، وذلك أنه حكم عليهم من منطلق ظنه بأن لهم جـهـدًا مـشـكورًا في نشر الإسلام والدفاع عنه، ولم يضع للاعتبار الأساسي وزنًا، فلم يضـع في حسـابـه أن الأول كان شـيـعـيًا، وأنه كان عـضـوًا بـارزًا في الماسونية ومؤسسًا لبعض فروعها في الـبـلاد العربية، وأن الثاني - مع إخلاصه في

الدفاع عن الإسلام - قد أوَّل المعجزات وقدم الـعـقـل على النقـل، وكانت له علاقة مشبوهة مع المستشرقين.
لقد شاع تعظيم بعض الرجال وتقديسهم على ما هو أقـل من ذلك، مـثـل قـدمه في مجال الدعوة، أو كثرة الأفراد الذين اهتدوا على يديه، أو شدة التعذيب الذي لاقاه من الطغاة، أو طول فترة السجن في زنزاناتهم. ولا نعني بكلامنا أبداً أن مثل تلك الأعمال لا وزن لها، بل لها فضل عظيم إن صح الأصل الأول، وحتى لو لم يصح فنحن نعترف بالحق، ونثبت الفضل لكل صاحب فضل، ولكن المحظور هو الانسياق وراء الـعـواطف، فنعـظـم الـرجـال ونتحمس لهم، ونشهد بعدلهم وصدقهم ونزاهتهم، بل وكثيًرا مـا نـسـمـع من يشـهـد لهم بالجنة !! لأجل اعتبار من تلك الاعتبارات.
خامسًا: إن تبني الخوارج لموقفهم ابتداء لم يكن عن تثبت وتمـحـيـص ونظر ولـذلك فـقـد زالت شبهتهم، ودحضت حجتهم بعد دقائق معدودة من بداية المناظرة، وإن كان القسم من الخوارج الذي فاؤوا إلى الحق يمـدحون على ذلك لتجردهـم وإخلاصـهـم، وعـودتـهـم إلى الجادة الصحيحة حينما تبين لهـم ذلك دون مماراة ولا ممـاطلة، وإن كانوا يمدحون على ذلك فإنهم ينتقدون على سرعة تبنيهم للفكرة ابتداء دون تثبت وتمحيص.
إن الذين لا يعتنقون الفكرة عن اقتناع عميق بالفكرة ذاتها، وبعد تثبت من أدلتها الشرعية الصحيحة بمنهج سليم، يكثرون التنقل.
إن الدعوة المعاصرة تواجه تحديات ضخمة، ومشاكل عدة، من الداخل والخارج، فما لم يكن أصحابها على قناعة شرعية قوية بأفـكارهم، وبأدلـتها فإنه لا يؤمن عليهم التذبذب بين الصف والصف إن بقي عندهـم الـحمـاس للإسـلام، أو الانتكاس إن فـقـدوا حماسهم لدينهم.
وإنه لمن المؤسف حقًا أن نرى كثيًرا من أتباع الدعوات، أذهـانهـم خـواء من كـل فـكـرة أصيلة، مليئة بتاريخ دعوتهم وسيرة عظمائهم فقط هي زادهم في الـطـريـق، ودافـعهـم إلى العمل، فنصيحتنا إلى كل مسلم مخلص، أن يستوثق من أصولـه، ويطـلـب عليهـا الأدلـة الشرعية وأن يفهمها بالمنهج الصحيح، وأن يفتش بتجرد عن قـناعـته بالأفكار التي يؤمن بها ويدعو إليها، وينظر هل هي أصيلة أم أنها موجودة بوجود المؤثـر والمرغـب، فإن زال الـمـؤثـر زال الـتـأثـيـر، ولـنأخذ درسًا عظيمًا من الصحابي الجليل كعب بن مالك- أحد المخلفين الثلاثة-وقد هـجـرهـم الرسـول -صلى الله عليه وسلم- وتـرك المسـلـمـون السلام عليهم، ثم جاءته الدعوة للجوء إلى من يعززه ويكرمه(3) فلم يتذبذب أو يتردد، بـل قذف رسالة ملك غسان إلى التنور لشدة إيمانه بأنه على الحق، ونصيحة لإخواننا الدعاة: إن الذي يتبنى فكرة بسرعة ولظروف معينة عرضة لأن يتخلى عنها بنفس السرعة، لظروف أخرى.

سادسًا: إن مخالفة ابن عباس التامة للخوارج في جميع الأفكار والتصورات لم تمنعه من العدل في القول، فقد كان بمقدوره السكوت لكن العدل مع المخالفين جعله يصفهم بما وجد فيهم -وإن كان في هذا الوصف مدح لهم - قال:(فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجـتهادًا منهم في العبادة...) فعلى العاملين في حقول الدعوة إلى الله الاتصاف بالعدل مع مخالفيهم، وعدم الامتناع من ذكر محاسنهم، بل ويحرصوا على أن يستفيدوا منها(4)
سابعًا: وما كان هذا الدرس بحاجة إلى أن يذكر لظهوره ووضوحه وكثرة الأدلة عليه، لولا أن التفريط فيه قد وقع من كثير من العاملين للإسلام فـضـلاً عـن عـامـة الـنـاس، ألا وهـو الحرص على صلاة الجماعة.
ولقد سمعنا حوادث عديدة عمن يفرطون في حضور الصلاة جماعة مع المسلمين في المساجد بحجة انشغالهم بطلب العلم، أو ببعض البحوث الهـامـة، أو أنه وإخوانه يتداولون أمرًا يهم المسلمين، فيعتذرون بذلك عن تفويتهم الجماعة.
فعلى هؤلاء وغيرهم، أن يتأملوا في حال ابن عباس، وقـد انـتـدب نفسه لمهمة عظيمة، لا شك في أن فيها مصلحة للمسلمين، ومع ذلك فحرصه على صلاة الجـمـاعة شديد إذ يقول لعلي -رضي الله عنه-: (أبرد عن الصلاة، فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم...).
فهل نفقه هذا الأمر، ونعلم أن التمسك بأحكام الدين جميعها واجب على كل فرد، وهو من أبرز سمات المسلم، وهو من تعظيم حرمات الله، فلم نتهاون ونتساهل في أوامر الله يا عباد الله؟
ثامنًا: ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل، من أصحاب المنـهـج الصحـيـح ألا ييأسوا من عودة الطوائف المنحرفة إلى المنهج القويم ممن أمعنوا في الضلال، فهاهم الخوارج على شدة بدعتهم وتمسكهم بها (حتى أن عبد الرحمن بن ملجم -أحـدهـم - قد قـتل عليًا تقربًا إلى الله بقتله) ومع ذلك فقد عاد منهم كثير إلى الحق بعد أن تبين لهم، فلا يـنـبـغي أن نيأس من عودة تلك الطوائف المنحرفة إلى الحق، خاصة وأن كثيرًا من المنتسبـيـن إليـهـا هـم من الأتباع حجبهم مشايخهم ومتبوعوهم عن الاستـمـاع للمـخـلـصـين خـوف تـذبـذب موقفهم وتخليهم عنهم، فلم يصل الحق إلى كثير من الأتباع حتى تحصل لهم المقارنة بينه وبين ما هم عليه.
فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على الوصول إلى الأتباع بعيدًا عن الملأ والمشايخ والقادة.
هذا، ولا يزال في القصة دروس عظيمة، منها أسلوب المناظرة والجدل مع أهل البدع ولعلنا نفرد هذا في مقال خاص، ونشير في الختام إلى بـعـض الـدروس الأخـرى الـهـامة، التي لا يتسع المقام للتفصيل فيها، ولعل في الإشارة إليها كفاية لأولي الألباب.

ففيها أن ينتدب الكفء نفسه للمهام وأن الإخلاص وحده لا يكفي في صحة العمل، وأن على الداعية أن يغشى الناس في مجالسهم، وعليه أن لا يستثار لانتقاد ذاته، وفيها أيضًا استئذان الفرد قائده إذا هم بفعل ما.
نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، إنه سميع مجيب.

الهوامش:

* ثَفِن: مفردها (ثفنة) بكسر الفاء: وهي ما ولى الأرض من كل ذات أربع إذا بركت، كالركبتين وغيرهما، ويحصل فيه غلظ من آثار البروك، وتجمع أيضًا على ثفنات. (النهاية 1/215).

1- الاعتصام للشاطبي 2/182.
2- الاعتصام للشاطبي 2/192.
3- اقرأ القصة كاملة في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك 8/113 رقم 4418 الطبعة السلفية الأولى.
4- اقرأ مقال: (وإذا قلتم فاعدلوا) من هذه المجلة أعداد رقم 5،6.

يا له من دين .. لو أن له رجالاً

محمد العبدة

كلما أقرأ أو أسمع أنه في عام 1992م ستكون السوق الأوربية المشتركة مفتوحة الحدود، مشرعة الأبواب لمواطنيها في التنقل والتجارة، ودون أية قيود وأنهم يستعدون لهذه النقلة، كلما أسمع ذلك يملكني الحزن والأسى، كيف يجتمع هؤلاء الناس ويتعاونون على ما بينهم من اختلاف في اللغة، وعلى ما بينهم من إحن قديمة، وعلى ما بينهم من تعصب إقليمي عرقي، وكيف لا يجتمع المسلمون والدعاة منهم بشكل أخص وبين أيديهم كل العوامل التي تحتم الاتحاد والتعاون والتناصر.
لا شك أن الذي يدفع بالغربيين إلى اتخاذ هذه الخطوات التعاونية هو نظرتهم للعواقب والتفكر بالنتائج التي تتمخض عن هذا التعاون وأنه يحقق لهم مصالح كثيرة، فهي سياسة دنيوية تقوم على استخدام العقل وتبعد العواطف والغرائز جانبًا، ولا شك أن الذي يمنع المسلمين من التعاون والتفاهم هو ضعف النظر في العواقب وعدم الانتباه لما يحيط بالمسلمين من أخطار، وما يتربص بهم من شرور، وتحكيم العواطف والنظرة الضيقة، والنظر للمصالح الآنيّة والفردية، وليس الذي ينقصهم غيرة دينية أو نقص في الحماسة لنصرة الإسلام، وإنما هو التخلف الحضاري الذي جعلهم لا يفكرون تفكيرًا هادئًا متزنًا مستبصرًا، بل لا يستحثهم هذا الضعف الذي ابتلوا به فأصبحوا طعمة لكل طامع ونهبة لكل ناهب، لا يستحثهم على الاتحاد أو التعاون على الأقل.

إن بعض الغربيين يستغربون جدًا أن تتكلم الشعوب الـعـربية لغة واحدة، ويفهم كل منهم عن الآخر ومع ذلك يكون بينهم هذا التفرق والتناحر، وكأن كل قطر قارة منعزلة، وكثيرًا ما يسألون: هل يستطيع المصري التفاهم مع المغربي أو الـعـراقي مـع الـيـمـنـي، لأنهم لا يتصـورون أن كـل هذه الأقـاليم التي تتكلم بلغة واحدة تكاد لا تتفق عـلى شـيء إلا على التفرق والتناحر.
أتقام تكتلات كبيرة لأعداء الإسلام، ونحن نمارس هواية التشرذم والتفرق ونكثر من عدد اللافتات والعناوين.
أيقيم أعداء الإسلام دولاً طـويـلـة عـريضـة على أفكـار وكـتـب من اختراع بشر بل هي من حثالة أفكار البشر، وكتاب الله بين أيدينا، وتفسيره بين ظهرانينا، وهو حبل الله المتين، وهو العروة الوثقى لا انفصام لها، ويبقى المسلمون على حالهم المزرية هذه؟!
ألا يحق لنا أن نطمع بمطلب متواضع من العاملين في حقل الـدعـوة الإسلامية وهو التفكر بما يدور حولهم، وكيف يتكالب أعداء الإسلام تكالبًا شديدًا، ولا ينـفـكون لحظة واحدة عن التخطيط والتدبير، وتقليب الأمور، حتى يتسنى لهم دوام السـيطـرة والهـيمـنة على الأمم المغلوبة على أمرها.
إن رؤية الحقيقة خير من التمادي في المراوغة والقول بأن كل شيء يسير على أحـسـن مـا يكون، والتبصر في العيوب وإبرازها في شجاعة، ومعالجتها وإن كان الدواء مؤلمًا، أفضل من الإمعان في التغافل، والبقاء في دائرة التراشق بالتهم والتهم المضادة.

الإمام محمد بن الحسن الشيباني وكتابه "السِّيَرُ الكبير"

عثمان جمعة ضميرية

-1-

اقتضت حكمة الله تعالى أن تختم الرسالات السماوية برسالة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فكانت رسـالـتـه دعـوة عـالـمـية خـالـدة، تتميز بالسمو والكمال، وتنطق بالهدى والعدالة والحق، وتهدف إلى صلاح الفرد والمجتمع وإلى خير الإنسانية بأجمعها.
ودعوة هذا شأنها لابد أن تنظم العلاقة بين الفرد وخالقه، وبين الفرد وأخيه في المجتمع، وبين الفرد والمجتمع كله من حوله، كما تنظم عـلاقـة الأمـة المسلمة بغيرها من الأمم، إذ هي "تحد للمكلفين حدودًا في أمور دينهم ودنياهم.

-2-

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتلقون أحكام هذه الشريعة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مباشرة، فيرجعون إليه في كل ما يتصل بـشـئـون الـديـن والـدنـيا في مجال العقيدة والإيمان، وفي مجال العبادة والأخلاق، وفي نطاق المعاملات المالية... الخ، وحفظوا ذلك عنه وفهموه وصدروا عنه في فقهم.

وبعد أن انتقل النبي -صلى الله عليه وسلم- والتحق بالرفيق الأعلى، وتفرق الصحابة في الـبـلـدان، وصـار كل واحد مـنـهـم مرجع ناحية من النواحي، فكثرت الوقائع، وجـدت الحوادث، وكان كل منهم يفتي فيما يواجهه من مسائل بحسب اجتهاده. وتتلمذ عليهم جيل من التابعين أخذ عنهم العلـم: قـرآناً وسـنة واستـنباطًا منهما، ضمن قواعد وضوابط تضبط عملية الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية، دُوّنـت فيـمـا بـعـد، وأطلق عليها اسم "أصول الفقه".

وفي هذه المرحلة انتشرت رواية أحاديث النبي -صلى الله علـيـه وسلـم-، وأعـقـب ذلك عملية نشيطة في التدوين، وظهور مدرستين فقهيتين هما: مدرسة أهل الحديث في المدينة النبوية، ومدرسة أهل الرأي في العراق (بالكوفة).

-3-

وليس من غرضنا في هذا المقال دراسة تطور هاتين المدرستين وخصائص كل منهما، ووجه الفرق بينهما... ولكن حسبنا هنا الإشارة إلى أن هذا الانقسام تـعـمق فـيـمـا بعد، وأدى إلى انفصام بين أهل الرأي وأهل الحديث، وكل منهـمـا بحاجة إلى الآخر، حـتـى إن الإمـام الخطابي رحمه الله قد رأى في عصره آثار هذا الانـقـسـام فـكـتـب في مقدمة »معالم السنن« يقول:

"ورأيت أهل العلم في زماننا قد حصلوا حزبين، وانقسموا إلى فرقـتـيـن: أصـحـاب حديث وأثر، وأهل فقه ونظر، وكل واحدة منهما لا تتميز عن أختها في الحاجة، ولا تـسـتغـنـي عنها في درك ما تنحوه من البغية والإرادة، لأن الحديث بمنزلة الأساس الذي هو الأصل، والفقه بمنزلة البناء الذي هو له كالـفرع، وكل بنـاء لم يـوضع على قـاعـدة وأسـاس فـهـو منهار، وكل أساس خلا عن بناء وعمارة فهو قفر وخراب.

وجدت هذين الفريقين - على ما بينـهـم مـن الـتداني في المحلين، والتقارب في المنزلتين، وعموم الحاجة من بعضهم إلى بعض، وشمول الفـاقـة اللازمـة لكل مـنـهـم إلى صاحبه - إخوانًا متهاجرين، وعلى سبيل الحق بلزوم التناصر والتعاون غير متظاهرين!

فأما هذه الطبقة، الذين هم أهل الأثر والحديث، فإن الأكثرين منهم إنما وَكْدهم الروايات وجمع الطرق، وطلب الغريب والشاذ من الحديث الذي أكثره موضوع أو مقلوب، لا يراعون المتون، ولا يتفهمون المعاني، ولا يستنبطون سيرها، ولا يستخرجون ركازها وفقهها، وربما عابوا على الفقهاء، وتناولوهم بالطعن، وادعوا عليهم مخالفة السنن، ولا يعلمون أنهم عن مبلغ ما أوتوه من العلم قاصرون وبسوء القول فيهم آثمون.

وأما الطبقة الأخرى، وهم أهل الفقه والنظر، فإن أكثرهم لا يعرِّجون من الحديث إلا على أقله، ولا يكادون يميزون صحيحه من سقيمه، ولا يعرفون جيده من رديئه، ولا يعبأون بما بلغهم منه أن يحتجوا به على خصومهم إذا وافق مذاهبهم التي ينتحلونها، ووافق آراءهم التي يعتقدونها. وقد اصطلحوا على مواضعة بينهم في قبول الخبر الضعيف والحديث المنقطع، إذا كان ذلك قد اشتهر عندهم وتعاورته الألسن فيما بينهم، من غير تثبت فيه أو يقين علم به، فكان ذلك ضلة من الرأي، وغبنًا فيه.

وهؤلاء- وفقنا الله وإياهم - لو حكي لهم عن واحد من رؤساء مذاهبهم وزعماء نحلهم قول يقوله باجتهاد من قبل نفسه، طلبوا فيه الثقة واستبرؤوا له العهدة. فتجد أصحاب مالك لا يعتمدون من مذهبه إلا ما كان من رواية ابن القاسم والأشهب وضربائهم من تلاد أصحابه، فإذا جاءت رواية عبد الله بن عبد الحكم وأضرابه لم تكن عندهم طائلاً.

وترى أصحاب أبى حنيفة لا يقبلون من الرواية إلا ما حكاه أبو يوسف ومحمد بن الحسن والعِلْية من أصحابه، والأجلة من تلاميذه، فإن جاءهم عن الحسن بن زياد اللؤلؤي وذويه رواية قولٍ بخلافه لم يقبلوه ولم يعتمدوه.

وكذلك تجد أصحاب الشافعي إنما يعولون في مذهبه على رواية المزني والربيع بن سليمان المرادي، فإذا جاءت رواية حرملة والجيزي وأمثالهما لم يلتفتوا إليها، ولم يعتدوا بها في أقاويله.

وعلى هذا عادة كل فرقة من العلماء في أحكام مذاهب أئمتهم وأستاذيهم.... الخ".

-4-

وهذه الكلمة الضافية الرائعة من عيون ما كتبه الإمام الخطابي، رحمه الله، تؤكد أهمية الجمع بين الحديث والرأي السليم أو النظر والأثر، لأن كل واحد منهما محتاج إلى الأخر، فالشافعي -كما قال القاضي عياض - تمسسك بصحيح الآثار واستعملها، ثم أراهم أن من الرأي ما يحتاج إليه، وتبنى أحكام الشرع عليه، وأنه قياس على أصولها، وَمُنْتَزَعٌ منها، وأراهم كيفية انتزاعها والتعلق بعللها وتنبيهاتها، فعلم أصحاب الحديث: أن صحيح الرأي فرع للأصل، وعلم أصحاب الرأي: أنه لا فرع إلا بعد أصل، وأنه لا غنى عن تقديم السنن والآثار أولاً.

-5-

وهذا الرأي الذي تقدم وغيره ينبئ عن مكانة من جـعـلـه الله تـعـالى مـعـلـمًا من معالم هذه المدرسة المتميزة، التي توازن بين مدرستي الحديث والرأي في الفقه الإسلامـي، ويشير إلى المنزلة الرفيعة التي يتبوؤها الإمام محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام أبي حـنـيـفـة النعمان وصاحبه، رحمهما الله تعالى.
وما أكثر ما نجد من منارات، ومعالم في تاريخنا الإسلامي المجيد!! فلتكن هذه المقالة عن واحد من هذه المنارات، عن الإمام محمد بن الحسن، الذي تتلمذ على أبى حنيفة وتـأثـر بفقهه، ونبغ في مدرسته، حتى أصبح مرجع أهل الرأي في حياة أبي يوسف بعد وفاة أبي حنيفة، وهو الذي رحل إلى المدينة وأخذ عن الإمام مالك بن أنس، وله روايـة خـاصة في الموطأ، وهى رواية مشهورة من أوثق الروايات وأجلها، يعقب أحاديثها بما عـلـيه العمل عند أبي حنيفة، ويبين السبب الذي من أجله وقع الـخلاف. قـال الإمـام محمد: أقمت على باب مالك ثلاث سنين، وسمعت منه لفظاً سبعمائة حديث ونيفاً.
وقال الشافعي: كان محمد بن الحسن إذا حدثهم عن مـالك امـتـلأ مـنـزلـه وكثروا، حتى يضيق بهم الموضع.

-6-

في سنة 132هـ رزق أبو عبد الله، الحسن بن فرقد الشيباني، من أهل حرستا، في غوطة دمشق ببلاد الشام، بولده محمد بن الحسن، في واسط بالعراق، فقد كان أبو عبد الله في جند الشام، وانتقلت أسرته إلى مدينة واسط، وفيها ولد محمد بن الحـسـن الـشـيـبـانـي الحرستانى، ثم انتقل إلى الكوفة مع والده.
وفي العراق، نشأ محمد بن الحسن وترعرع، ثم حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ تعليمه، وبدأ يختلف إلى حلقة أبي حنيفة في الكوفة، وقد جرى معه ما يدل على نبوغه المـبكـر وذكائه المتوقد، ولم تكن حلقة أبي حنيفة مجرد حلقة عادية لتعليم مبادئ الـفـقـه، بـل كانت مدرسة تضم النوابغ من الطلبة الذين يذكي فيهم شيخـهـم روح الاجتهاد والبحث بمسائله التي يطرحها عليهم ثم مناقشتها بكل حرية وشورى ليصل إلى رأي ناضج، يأمر بعد ذلك بكتابتها وتدوينها في بابها من كتاب الفقه الإسلامي العظيم.
وانصرف محمد بن الحسن بكليته إلى العلم انصرافاً ملك على جوانب حياته، حتى إنه قال لأهله: لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا تشغلوا بها قـلـبي، وخذوا ما تحتاجون إليه من وكيلي، فإنه أقل لهمي وأفرغ لقلبي.

-7-

لازم محمد بن الحسن شيخه الأول أبا حنيفة، وسمع منه وكتب عنه، وبعد وفاته لازم أبا يوسف حتى برع في الفقه، وسمع أيضاً من مسعر بن كدام، ومالك بن مغول، وعمر بن ذر الهمداني، وسفيان الثوري، والأوزاعي، ومالك ابن أنس، ولازم مالك بن أنس مدة - كما سبق - حتى انتهت إليه رياسة الفقه بالعراق بعد أبي يوسف.
وتفقه به أئمة أعلام كالشافعي، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وهشام بن عبيد الله الرازي، ويحيي بن معين، ومحمد بن سماعة، وأسد بن الفرات، وغيرهم كثير.

-8-

وقد أثنى عليه العلماء ثناء عاطراً يدل على علو مكانته ومنزلته، وحسبك شهادة الإمام الشافعي فيه.
قال الإمام الشافعي: أخذت من محمد بن الحسن وِقْرَ بعير من علم، وما رأيت رجلاً سميناً
أفهم منه - أو أخف روحاً منه - وكان يملأ القلب والعين.
وقال: كان إذا تكلم خيل لك أن القرآن نزل بلغته.
وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ما رأيت أعلم بكتاب الله منه.
وكان الشافعي أيضاً يقول: ما رأيت أحداً سئل عن مسألة فيها نظر إلا رأيت الكراهية في وجهه إلا محمد بن الحسن، وما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام، والعلل، والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن، ولو أنصف الناس لعلموا أنهم لم يروا مثل محمد بن الحسن، ما جالست فقيهاً قط أفقه ولا أفتق لساناً بالفقه منه، إنه كان يحسن من الفقه وأسبابه أشياء تعجز عنها الأكابر... وقال إبراهيم الحربي: قلت لأحمد بن حنبل: من أين لك هذه المسائل الدقيقة؟ قال: هي من كتب محمد بن الحسن.
هذه شهادة إمام أهل السنة، وتلكم شهادة ناصر السنة واضع علم الأصول في الإمام الرباني محمد بن الحسن الشيباني، تغنيان عن كل شهادة بعدهما.

-9-

وذلك كله يشير إلى طرف من منزلة الإمام محمد -رحمه الله- في الفقه الإسلامي ومكانته فيه. وقد رتب العلماء طبقات المجتهدين في الفقه الإسلامي ووضعوا محمداً، رحمه الله ، في الطبقات الأولى، إن لم يكن في الأولى منها، وجعلها ابن كمال باشا الحنفي سبع طبقات، وتبعه في ذلك الشيخ ابن عابدين الحنفي.
فالأولى: طبقة المجتهدين في الشرع، كالأئمة الأربعة، ومن سلك مسلكهم في تأسيس قواعد الأصول، واستنباط الأحكام والفروع من الأدلة الأربعة من غير تقليد لأحد لا في الفروع، ولا في الأصول.

الثانية: طبقة المجتهدين في المذهب، كأبي يوسف، ومحمد، وسائر أصحاب أبي حنيفة القادرين على استخراج الأحكام من الأدلة المذكورة، على مقتضى القواعد الـتـي قـررهـا أستاذهم أبو حنيفة، فإنهم وإن خالفوه في بعض أحكام الفروع، لكنهم يقلدونه في قواعد الأصول.
والثالثة: طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب، كالخصاف والطحاوي والكرخي..
الرابعة: طبقة أصحاب التخريج من المقلدين، كالرازي الجصاص وأضرابه.
الخامسة: طبقة أصحاب الترجيح من المقلدين، كالقدوري، وصاحب الهداية - المرغيناني - وأضرابهما.
والسادسة: طبقة المقلدين القادرين على التمييز بـيـن الأقـوى والـقـوي والـضـيف، وظـاهـر المذهب، وظاهر الرواية والرواية النادرة، كأصحاب المتون.
والسابعة: طبقة المقلدين الذين لا يقدرون على ما ذكر.

إلا أن هذا التقسيم لطبقات الفقهاء، ليس تـقـسـيـمـاً دقيقاً، ولا تقسيماً حاصراً مميزاً لكل طبقة عن الأخرى، ولذلك أبدى بعضهم نظراً في ذلك، فقال الشيخ هارون بن بهاء الدين المرجاني الحنفي:
»ليت شعري، ما معنى قولهم: (إن أبـا يوسـف ومحمداً وزفر، وإن خالفوا أبا حنيفة في بعض الأحكام، لكنهم يقلدونه في الأصول - في معرض عدهم من الطبقة الثانية السابقة - ما الذي يريد به؟
فإن أراد منه الأحكام الإجمالية التي يـبـحث عنهـا في كتب الأصـول، فهي قواعد عقلية وضوابط برهانية، يعرفها المرء متن حيث أنه ذو عـقـل وصاحب فكر ونـظـر، سـواء كـان مجتهداً أو غير مجتهد، ولا تعلق لها بالاجتهاد قط.
وشأن الأئمة الثلاثة - أبو يوسف ومحمد وزفر - أرفع وأجل من أن لا يُعرفوا بها كما هو اللازم من تقليدهم غيرهم فيها، فحاشاهم ثم حاشاهم عن هذه النقيصة، وحالهم في الفقه، وإن لم يكن أرفع من مالك والشافعي فليسوا بدونهما، وقد اشتهر في أفواه الموافق والمخالف وجرى مجرى الأمثال قولهم: أبو حنيفة أبو يوسف، بمعنى أن البالغ إلى الدرجة القصوى في الفقاهة: أبو يوسف«.
وقال الخطيب البغدادي: قال طلحة بن محمد بن جعفر: أبو يوسف مشهور الأمر، ظاهر الفضل، أفقه أهل عصره... وكـذلك محمد بـن الـحـسن، قد بالغ الشافعي في الثناء عليه، وذكر ابن خلدون أن الشافعي رحل إلى العراق ولـقـي أصـحـاب الإمـام أبـي حنيفـة وأخذ عنهم، وكذلك أحمد بن حنبل أخذ عنهم مع وفور بضاعته في الحديث.

ولكل واحد منهم أصول مختصة تفرد بها عن أبي حنيفة، وخالفه فيها، ونقل عن الغزالي أنه قال: إنهما خالفا أبا حنيفة في ثلثي مذهبه!
وهذا ما أبداه أيضاً العلامة ابن بدران الحنبلي في (المـدخـل إلى مـذهـب الإمـام أحمـد بـن حنبل) عندما عرض للسبب الذي لأجله اختار كثير مـن الـعـلماء مذهب الإمام أحمد على غيره، وفي بحثه عن الاجتهاد والتقليد، ومن ذلك قوله عن الـطـبـقـة الأولى من الـمـفتتين والمجتهدين المنتسبين إلى مذهب فقهي معين: »ثم إن للمفتي - المجتهـد - المنـتـسـب إلى أحد المذاهب أربع أحوال:أحدها: أن لا يكون مقلداً لإمامه، لا في مذهبه، ولا في دليله، لكنه سلك طريقه في الاجتهاد والفتوى، ودعا إلى مذهبه، وقرأ كثيراً مـنـه على أهـلـه، فوجده صواباً، وأولى من غيره، وأشد موافقة فيه وفي طريقه... وحكي عن أصحاب مالك وأحمد وداود وأكثر أصحاب أبي حنيفة أنهم صاروا إلى مذاهب أئمـتهـم لأنـهـم وجـدوا طريقتهم في الاجتهاد والفتاوى أسد الطرق... وحكى اختلافاً بين الحـنفـية والشافـعية في أبي يوسف ومحمد والمزني وابن سريج: هل كانوا مستقلين في الاجتهاد أم لا؟ قـال: ولا تستنكر دعوى ذلك فيهم في فن من فنون الفقه بناء على جواز تجزئ منصب الاجـتهاد، ويبعد جريان الخلاف في حق هؤلاء المتبحرين الذين عم نظرهم الأبواب كلها.

ومع هذا الخلاف في كون الإمام محمد مجتهداً مطلقاً أم لا؛ فإن مكانته في العلم مـكانـة بارزة، ففي التفسير تعرف مكانته من قول الشافعي رحمه الله: »لو أشاء أن أقـول: نـزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت، لفصاحته« ويقول محمد -رحمه الله-: »ينبغي لقارئ القرآن أن يفهم ما يقرأ« فله مكانته في معرفة أسلوب القرآن الكريم وبيان أحكامه وناسخه ومنسوخه، ومن ثم كان من أعلم الناس بكتاب الله.
وفي الحديث والسنة: كان للإمام محمد عناية خاصة، فهو قد رحل إلى الإمام مالك وسمع منه الموطأ، وله روايته الدقيقة، التي تتميز عن رواية يحيى الليثي بأنه يعقب بقـول أبي حنيفة وقوله في كل مسألة غالباً. والكتاب مطبوع وله شروح متعددة كشرح (ملا علي القاري).
وله كتاب »الآثار« الذي يروي فيه أحاديث مرفوعة وموقوفة ومرسلة، وعـلـيـه شـروح، وقد عني الحافظ ابن حجر برجاله فكتب رسالته »الإيثار بمعرفة رجال الآثاروله كتاب »الحجة على أهل المدينة « فيه كثير من الآثار التي يرويها بسنده، وفي سائر كتبه جملة صالحة من الأحاديث والآثار.
وأما ثقافته اللغوية، فحسبك قول الإمام الشافعي: إنه كان من أفصح الناس، وكان ثعلب يقول: محمد عندنا حجة من أقران سيبويه، وكان قوله حجة في اللغة. وذكر ابن يعيش في شرحه خطبه (كتاب المفصَّل) أن محمداً ضمَّن

كتابه المعروف ب »الجامع الكبير« في كتاب الأيمان منه، مسائل فقه تُبتنى على أصول العربية، لا تتضح إلا لمن له قدم راسخة في هذا العلم... وكان أبو علي الفارسي يتعجب من تغلغل الإمـام محمد في الـنـحـو، في الـجـامـع الكبير.
وقال ابن جني عن كتب الإمام محمد وأثرها في علم الـنـحـو: إنـمـا ينـتـزع أصحابنا منها العلل، لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق.

-12-

والذي يشهد للإمام محمد ومكانته: تصانيفه ومؤلفاته، الجيدة المتقنة، التي كانت عماد الكتب المدونة في الفقه الإسلامي، »كالأسدية« التي هي أصل »المدونة« في مذهب الإمام مالك، وكتاب »الأم« للإمام الشافعي رحمه الله، وهـذه الكـتـب هـي الـتـي حفـظـت فـقـه المـذهـب الحنفي، وتعتبر أصولاً له، وبخاصة الكتب المعروفة بـ»ظاهر الرواية«.
فمن كتبه »الجامع الصغير« في الفقه، وقد طـبـع مـع شرح له للكندي سماه »النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير« وفي مقدمة الشرح تفصيل لشراح الجامع الصغير منذ القديم.
و»الجامع الكبير« وهو كتاب جامع لجلائل المسـائـل، مـشـتمل على عـيـون الروايات ومتون الدرايات، حتى قال بعضهم: ما وضع في الإسلام مثل جامع محمد بن الحسن، وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة بعناية أبي الوفاء الأفغاني، وللكتاب شروح ومختصرات كثيرة.
»السير الصغير« و »السير الكبير« الأول: يرويه عن أبي حنيفة، والثاني من آخـر مـؤلـفـاتـه، وكلاهما في العلاقات الدولية وأحكام الجهاد، وعليه شروح كثيرة، وسنفرده إن شـاء الله تعالى، بمقال مستقل.
ومن أهم كتب الإمام محمد »الأصل« أو »المبسوط« ، وهو من أول تصانيفه، وأجمعـهـا لأبـواب الفقه، وفيه يسجل آراء أبي حنيفة، وأبي يوسف وآرائه هو، ويـناقـش ويـعـلل للأحـكـام ويستدل لها، ويقبل ويرفض من الآراء، حسب منهجه الفقهي. وقد طبع هذا الكتاب، أو قسم كبير منه، في خمس مجلدات، وصور أخيراً في الباكستان، ومـعـه مـا سـبـق أن حققه ونشره الدكتور شحاتة، وهو ما يتضمن كتاب »السلم« من أصل الكتاب.
وله كتاب »الزيادات« ألفها بعد الجامع الكبير، استدراكاً لما فاته فيه من المسائل.
وهـذه الـكـتـب الستة المتقدمة، هي التي تعرف في المذهب الحنفي بكتب »ظاهر الرواية« أو »مسائل الأصـول« لأنـهـا رويت بطريق الشهرة، أو التواتر عن الإمام محمد، بخلاف الكتب الأخرى التي رويت عنه بطريق الآحاد.

وقد جمع هذه الكتب كلها الحاكم الشهيد في كـتـاب واحـد سـمـاه (الكافي) وقـد شـرحـه السرخي في كتابه الضخم (المبسوط) الذي طبع في الـقـاهـرة في ثلاثين جزءاً ثم صور حديثاً عن هذه الطبعة، وما أجدره بطبعة علمية حديثة محققة مخرجة الأحاديث.
ومن كتبه الأخرى: (الرقّيات) و (الكيسانيات) و(الجرجانيات)و (الهارونيات) و(النوادر)، وله أيضاً (الحجة على أهل المدينة) وفيه احتجاج على فقهاء أهل المدينة في مسائل الفقه ومناقشتها، وقد طبع في أربع مجلدات بعناية أبي الوفاء الأفغاني، وتعليق المفتي السيد حسن الكيلاني.
و(كتاب الآثار) وهو مسنده يرويه عن أبي حنيفة، وقد طبع اكثر من مرة وترجم الحافظ ابن حجر لرجاله في رسالته (الإيثار بمعرفة رواة الآثار)، وقـد طـبـع أخيـراً في كـراتـشـي بالباكستان عام 1407هـ.
ولهـذه الكـتـب مخـطوطات كثيرة في كثير من بلدان العالم الإسلامي، عنيت بذكرها كتب التراث وتاريخ الأدب الـعـربـي، والكتـب التي تـرجمـت حديثـاً للإمام محمد بن الحسن الشيباني.
ومنها: رسالة (الإمام محمد بن الحسن الشيباني، وأثره في الفقه الإسلامي) للدكتور محمد الدسوقي، وقد طبع حديثاً في قطر، وفي كشوف الدراسات العليا بـكـلـية الـشـريعة بجامعة الأزهر (الإمام محمد بن الحسن الشيباني وأثره في الفقه الإسلامي) مسجلة عام 1968م.

-13-

ولسنا الآن بسبيل الكتابة المفصلة عن جوانب شخصية محمد وفقهه -رحمــه الله-، فـإن ذلك يحتاج إلى مقام غير هذا المقام، وما أردت لهذه الكلمات إلا أن تكون مقدمة بين يدي التعريف بكتابه الرائع (السير الكبير) وهو أول كتاب في الـعلاقـات الدولـيـة الإسـلاميـة، جعل كثيراً من المفكرين، ومنهم الأجانب، يعتبرون الإمام محمداً أبا القانون الدولي، قبل غروسيوس وغيره... وإذ طالت هذه المقدمة، فلنلو عنان القـلـم لـنـدع الـتعـريـف بالكتاب وأهميته لمقالة أخرى لاحقة-إن شاء الله تعالى-

-14-

وليكن ختام هذه الكلمة الإشارة إلى وفاة الإمام محمد رحمه الله في سنة (189هـ)، بعد حياة حافلة بالعلم: دراسة وتدريساً وتأليفاً ورئاسة للقضاة، في عـهـد هـارون الرشيد، -رحمه الله-، فقد خرج والكسائي مع الرشيد إلى »الريِّ« في بلاد ما وراء الـنهر، والتي تقع الآن في بلاد إيران، وفي هذا العام أيضاً توفي الكسائي، بل في يوم واحد، فروي أن الرشيد جزع لموتهما، وقال: »دفنت الفقه والنحو بالري« .

فسلام على الإمام الرباني، محمد بن الحسن الشيباني، ورحمه الله، في الأولين والآخرين كفاء ما قدم من خدمة جليلة للفقه الإسلامي العظيم.
والحمد لله رب العالمين.
للبحث صلة

شذرات وقطوف

اختيار: مازن محمد راغب

أين المشكلة؟

.... أمر الاعتقاد في الإسلام لم يترك لاجتهاد الناس ولا لأذواق المجاذيب؛ بل هو محصور في مصدر واحد هو النقل... بخلاف فقه الشريعة، فإن المصدر الرئيسي له هو الوحي، ولكن ترك فيه مجال كبير لاجتهاد المجتهدين ...
وكان هذا من أعظم أسباب شمول الشريعة ومرونتها التشريعية. النبي- صلى الله عليه وسلم- أقر الاختلاف في الأحكام في عهده، ولم يخطّئ أحداً من المجتهدين رغم اختلافهم، إلا إذا اشتط الفهم بأحد منهم فتكلم بغير فقه، لذلك لا يعد الاختلاف في فقه الأحكام من حيث المبدأ مشكلة في حياة المسلمين، المشكلة في أدب الاختلاف ...

البهاليل في عصر الكمبيوتر للدكتور عبد العزيز القارئ

الفضيلة في عصرنا

... نحن في عصر تكاد الفضيلة الإنسانية فيه تلحق بالألفاظ التاريخية التي تدل على ما كان قديماً... بل عادت كلمة من كلمات الشعر تراد لتحريك النسيم اللغوي الراكد في الخيال، كما تقول: السحاب الأزرق، والفجر الأبيض، والشفق الأحمر، والتطاريف الوردية على ذلك الشمس. وأصبح الناس ينظر أكثرهم إلى أكثرهم بأعين فيها معنى وحشي له مس كمس الضرب أو طعن أو ذبح.

مصطفى صادق الرافعي وحي القلم ج 2

السياسة

... ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يصنعه الرسول ولا نزل به وحي. ومن قال لا سياسة إلا بما نطق به الشرع فقد غلط وغَلّط الصحابة.

ابن القيم في الطرق الحكمية

قال الحسن البصري لمطرف بن عبد الله:
يا مطرف، عظ أصحابك . فقال مطرف:
إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن:

يرحمك الله، وأينا يفعل ما يقول؟ لـود الـشـيـطـان أنـه ظـفـر بهـذه مـنكـم، فلم يأمر أحدٌ بمعروف، ولم ينه عن منكر.

نظرية »الوسيلة والهدف« في القيادة

ر. ج. هوز(1)

ترجمة: طارق عبد الحليم

هذه الدراسة المترجمة التي نقدمها في مجال الدراسات الاجتماعية، استكمالاً لما قدمناه في العدد الثامن من »البيان« ، هي لـعـالـــم الاجتماع الأمريكي روبرت هوز، المتخصص في علم النفس الاجتماعي Social Psychology والتي قـدم فيها الورقة الأولى لنظرية جديدة في فن القيادة وسماها بنظرية (الوســيــلة والهدف)، وتعني بتحديد المهام الرئيسية للقيادة كما يراها، والتي على رأسها إيضاح الهــدف المنشود، وبيان الوسيلة لتحقيقه، وأثر ذلك على سلوك الاتباع.

ظهرت - في الحقبة الأخيرة - مجموعة من الدراسات في مجال دراسة »القيادة« تعرف باسم نظرية »الوسائل والأهداف«، وحسب هذه النظرية فإن فــعــالـــيـــة القيادات تتحدد بدرجة تأثيرها على حفز همم المرؤوسين (الاتباع)، ورفع قدراتهم على أداء العمل بفعالية، وتنمية شــعــورهـــم بــالــرضا والاكتفاء الداخلي عن العمل، وقد أطلق على هذه النظرية »الوسائل والأهداف« لأنها تــصب اهتمامها على كيفية تأثير القائد على تصورات اتباعه عن »الهدف« من العمل الجماعي، وعن تطلعاتهم الشخصية، وطرق ووسائل تحقيق كلا الهدفين.

الأسس التاريخية للنظرية:

تمتد جذور نظرية »الــوســائـل والأهداف« في القيادة، لنظرية أكثر عمومية تبحث في مجال »الدوافع« تعرف باسم نظرية »الـتـوقــعـــات« (Expectations) وبشكل مختصر، فإن هذه النظرية الأخيرة تنص على أن تصورات الأتباع ومواقفهم يمكن استنباطها من:

أ- درجة اقتناعهم بأن العمل الجماعي الذي يقومون به، سيؤدي إلى نتائج محددة (التوقع) .

ب- درجة تقييمهم لهذه النتائج (التقييم).

ولهذا السبب، فإن رضا الناس عن عمل ما، وما يحققه لهم من شعور بالاكتفاء الداخلي، إنـمـــا يكمن في قناعتهم بأن هذا العمل سيؤدي بهم إلى الوصول لتحقيق،أشياء ذات قيمة عالية في نظرهم.

هذا الأســـاس العـقـلي النظري، يمكن من خلاله التنبؤ بعدد من الظواهر المتصلة بموضوع القيادة، فمثلاً: لماذا تـتـصــرف الـقـيـادات بشكل ما في موقف ما؟ أو كيف يمكن أن تؤثر القيادة على »حفز همم« (Motivation) الأتباع على العمل؟

وهذا الأمر الأخير، هو محور اهتمام هذه الدراسة الحالية، وهو أن »همم الاتباع إنما تحفز على العمل حــسـب سلوك القيادة وأثرها في توضيح أهداف العمل وقيمته، ووسائل تحقيق هذه الأهداف«.

وقد طور عدد من الباحثين (إيفانز، هارمر، جرين) في هذا الشأن، بعض الافتراضات المحددة بشأن أثر السلوك القيادي على وسائل وأهداف الأتباع.

وقد ركز هؤلاء الباحثون على أمرين:

1 - كيفية تأثير القائد على توقعات اتباعه في أن »الجهد المبذول سيؤدي إلى أداء فعال، ومن ثم إلى نتائج قيمة، ومقابل مجز.

2 -كيفية تحول هذا التأثير إلى دافع لحفز همم الأتباع لزيادة العمل كماً وكيفاً.

وعلى الرغم من أن تنظير فن القيادة من زاوية الوسائل والأهداف للاتباع، يدرج في مراحله الأولى، فإننا نعتقد أن له مستقبلاً واعداً لسببين:

أولهما: أنها تعالج جوانب من سلوكيات القيادة لم تبحث من قبل، إلا أنها تبدو مثمرة.

وثانيهما: أنها تحدد - بدرجة كافية من الدقة - العوامل المختلفة التي يتوقف عليها سلوك القيادة في المواقف المختلفة.

وقد افترض »إيفانز« في بنائه النظري الأساسي، أن فعالية القيادة تتحدد بقدرتها على إتاحة الفرصة للأتباع للوصول إلى النتائج التي يسعون إليها، مع ربط هذه النتائج التي يرجونها بحسن أدائهم للعمل. وقد أوضح »إيفانز« أن أحد مهام القيادة الاستراتيجية، هو إيضاح الوسيلة للأتباع لإتمام وتحقيق عمل ما للوصول إلى نتائج وأهداف ذات قيمة لهم، كذلك فإن من مهام القيادة أن ترفع من درجة »المقابل المتوقع« لدى الأتباع، بأن تكون داعمة لهم عن طريق الاهتمام براحتهم، وحالتهم الاجتماعية والعامة، ذلك أن الإحساس الناشئ لدى الأتباع بأن القيادة تدعمهم شخصياً، هو في حد ذاته »قيمة« مطلوبة كجزاء على العمل والجهد يمكن للقائد أن يمنحها بنفسه، وتؤدي إلى رفع دافعية الأتباع للعمل ومزيد من الجهد.

كذلك فقد درس »إيفانز« العلاقة بين سلوك القيادة من جهة، ودرجة توقع وتطلع الأتباع لتحقيق أهدافهم، وأوضحت هذه الدراسة أنه كلما أعطت القيادة التوجيهات الكافية لأداء العمل، كلما كانت العلاقة بين سلوك القيادة وبين أداء الأتباع طردية إيجابية.

وكما ربط »إيفانز « بين جودة أداء الأتباع، ودرجة قناعتهم بأن عملهم سيؤدي إلى نتائج محددة قيمة، كذلك ربط بين هذا الأخير وبين سلوك القيادة وأدائها،

بأن جعل وظيفة القائد الأساسية هي إيضاح الوسيلة لتحقيق الأهداف بشكل لا يشوبه لبس، وجعل النتائج المرجوة مرتبطة بحسن الأداء كما سبق ذكره.
وانطلاقاً من هذا الخط فقد طور »هوز وكيسلر« نظرية أكثر تعقيداً من نظرية »إيفانز".وتسعى هذه النظرية لبيان أثر أربعة نماذج من السلوك القيادي على الأبعاد الثلاثة التالية:
1- رضاء واكتفاء الأتباع بعملهم الجماعي.
2 - قبول الأتباع لقيادتهم، واقتناعهم بها.
3- قناعة الأتباع بأن جهدهم سيؤدي إلى أداء حسن، ومن ثم لتحقيق الهدف المرجو.
هذه النماذج الأربعة القيادية هي:

1- القيادة الموجهة: Directive Leadership

وتعرف بأنها القيادة التي تعرف الأتباع بما هو منتظر منهم، وتعطي التوجيهات المحددة للعمل المطلوب وكيفية أدائه، وتجعل دور الفرد كالتابع معلوماً محدداً في مجموعته. كذلك فإنها تجدول العمل، وتحافظ على مستوى معين من الأداء بالحرص على التزام الأتباع لقواعد وقوانين محددة.

2 - القيادة الداعمة: Supportive Leadership

وتعرف بأنها القيادة المتوددة، القريبة من الأتباع، والتي تظهر الاهتمام بأوضاعهم واحتياجاتهم. وهذه النوعية من القيادة تهتم عادة بالتفصيلات الصغيرة التي تجعل العمل أكثر إمتاعاً، وتعامل الآخرين على أساس من الندية والتكافؤ، وبطريقة ودية دون حواجز.

3-القيادة المشاركة: Participative Leadership

وهي القيادة التي تستشير أتباعها، وتستمع لاقتراحاتهم، وتضعها موضع الجدية والاهتمام والدراسة قبل اتخاذ قراراتها.

4 -القيادة التي تصب اهتمامها على العمل: A chievement-oriented Leadership

وهي التي تحدد أهدافاً عالية لأتباعها، وتتوقع منهم أن يتصرفوا على أحسن مستوى، وأن يكونوا ساعين دائماً لتحسين أدائهم، كذلك فإنها تظهر الثقة في أن أتباعها سوف يتحملون مسؤولياتهم، ويصبون اهتمامهم على إنجاز الأهداف السامية. هذه النوعية من القيادة تؤكد دائماً على سمو الأداء، والثقة في قدرة الأتباع على تحصيل هذا المستوى.
وقد ذكرت بعض الدراسات أن هذه الأنماط المختلفة من السلوك القيادي قد تظهر في قيادة واحدة تبعاً لاختلاف الموقف، فعلى سبيل المثال، قد يكون القائد »موجهاً« في بعض الحالات، لكنه مشاركاً أو داعماً في حالات أخرى.
لذلك فإن الطريقة التقليدية في تعريف القائد بأنه »داعماً« أو »مشاركاً« أو »موجهاً« لم تعد بذات نفع، كذلك فإن القيادة تستطيع أن تتخير من أنماط

السلوك القيادي ما يناسب الموقف المطلوب لقيادة الأتباع. والنظرية التي كنا بصددها الآن، وإن كانت تعتبر شرحاً مؤقتاً - وغير نهائي - لتأثير سلوك القائد، فإنها غير متكاملة، ذلك أنها لا تتناول بقية أنماط السلوك القيادي، كما أنها لا توضح أثر هذا السلوك على العوامل الأخرى خلاف رضاء الأتباع، وشعورهم بالاكتفاء.

نظرية الوسيلة والهدف:

الافتراضات العامة:

الفرض الأول: أن سلوك القائد مقبول ومرضي للأتباع، إذا كان الأتباع يرون في هذا السلوك مصدراً لتحقيق اكتفائهم ورضاهم الداخلي حالاً أو مستقبلاً.
الفرض الثاني: أن سلوك القائد يجب أن يكون له تأثير »حافزي«، بمعنى أن يحقق زيادة الجهد، حين يرتبط بأمرين:
1- أن يجعل تحقيق احتياجات الأتباع متوقفاً على حسن أدائهم.
2- أن يساعد هذا السلوك على توفير الظروف الملائمة لتحسين الأداء بواسطة التعاون والتوجيه والدعم والجزاء اللازم لتحقيق كفاءة الأداء.
ومن الأبحاث السابقة على نظرية »التوقع« السابق ذكرها، يمكن استنتاج أن مهام الزعيم الاستراتيجية هي:
1- تحديد وحفز احتياجات الأتباع التي تكون للقائد إمكانية السيطرة عليها وتحقيقها لهم.
2 - التركيز على زيادة الإنتاجية الفردية للاتباع لتحقيق أهداف العمل.
3 - تسهيل وإيضاح وسائل زيادة الإنتاجية بالتدريب والتوجيه.
4 - مساعدة الأتباع في الحصول على آمالهم والإفصاح عنها.
5 - تقليل فرص الشعور بالإحباط.
6 - زيادة فرص الرضاء الشخصي للأتباع عن العمل، بشرط حسن أدائهم.

العوامل الشرطية: Contingency Factors

هناك فئتان من المتغيرات الظرفية (التغير في الموقف والظروف) يمكن اعتبارهما عوامل شرطية.
والعامل الشرطي: هو المتغير الذي يؤثر على العلاقة بين متغيرين آخرين.
مثال ذلك: يمكن القول بأن »هيكلية العمل« (كعامل شرطي) تؤثر على درجة الارتباط بين كل من سلوك القائد التوجيهي (كمتغير أول) وإحساس الأتباع بالرضاء نتيجة هذا السلوك (كمتغير ثان) ففي حالة ارتفاع درجة هيكلية العمل: كلما زادت درجة توجيه القائد لأتباعه، كلما قل إحساسهم بالرضاء عن العمل ونتائجه، والعكس في حالة ضعف هيكلية العمل (أي درجة وضوح المطلوب وتنظيمه) نجد أنه كلما زادت درجة وكمية توجيهات القائد للأتباع، كلما زاد إحساسهم بالرضاء لهذا يمكن القول بأن العلاقة بين درجة توجيه

القيادة للأتباع وإحساس الاتباع بالرضاء، متوقفة على (أو مشروطة بـ) هيكلية العمل ودرجة وضوحه.
والعاملان الشرطيان في هذه النظرية هما:
1- الصفات الشخصية للأتباع.
2- الضغوط البيئية التي يجب أن يتلاءم معها الأتباع حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم، والوصول لإرضاء ذواتهم، وتأمين احتياجاتهم. وبالرغم من أن هناك عوامل ظرفية أخرى تؤثر على تحديد نوعية السلوك القيادي، إلا أنها غير محددة حتى الآن.

الفئة الأولى من العوامل الشرطية (صفات الأتباع): Subordinates Characteristics

تؤكد نظرية الوسيلة والهدف على أن سلوك القيادة يكون مقبولاً لدى الأتباع، ما دام محققاً لرغباتهم وآمالهم حالاً أو مآلاً. وتحدد صفات الأتباع الشخصية هذا ا لمفهوم.
فمثلاً، قد أوضح رينون وميتشل باستخدام مقياس »مركز التحكم« أن درجة الفرد على هذا المقياس تؤثر في العلاقة بين السلوك القيادي المشارك، ودرجة رضاء الفرد التابع. وهذا المقياس يعكس رأي الفرد في مدى استجابة البيئة المحيطة لسلوكه وتصرفاته. فبعض الناس يعتقدون أن ما يحدث لهم - من البيئة المحيطة-إنما هو بسبب سلوكهم هم، والبعض الآخر يعتقد أن ما يعرضون له إنما يكون بسبب الصدفة العابرة لا أكثر.
فالطائفة الأولى ترحب بالقيادة المشاركة (نظراً لأن أفرادها يرون أن مشاركتهم في صنع القرار ستنعكس على ما يحدث لهم) أكثر من الطائفة الثانية التي تفضل النمط القيادي الموجه.
كذلك فإن درجة قناعة الأتباع، بتكافؤ إمكانياتهم الشخصية مع الأعمال الموكلة لهم، تعتبر من الصفات الشخصية للأتباع التي يمكن أن تعد من قبيل العوامل الشرطية، فإنه كلما كان الأتباع أكثر إحساساً بقدرتهم الشخصية على أداء العمل المطلوب، كلما قل ترحيبهم بالنمط القيادي الموجه أو السلوك التدريبي، حيث أن ذلك يؤدي إلى تقليص دافعية الأفراد على العمل، حيث يرون ذلك نوعاً من الرقابة التي تضيق عليهم الخناق.

الفئة الثانية من العوامل الشرطية (الضغوط البيئية): Environmental Pressures

وتحدد هذه الفئة بمجموعة العوامل التي لا يمكن للأفراد السيطرة عليها، مع أنها لا تزال ذات أهمية بالغة في الوصول بهم إلى درجة الاكتفاء والقدرة على تحسين الأداء. وتؤكد النظرية على أن تأثير السلوك القيادي على الحالة النفسية للأتباع، يتوقف على ظروف بيئية أخرى ذات علاقة بدافعية الأتباع، هذه الظروف البيئية هي:

1- نوعية العمل المنوط بالفرد.
2 - نظام تسلسل السلطة الرسمي للمنظمة.
3 - مجموعة العمل الأساسية التي يعمل الفرد من خلالها.
وتقييم هذه العوامل البيئية يمكن من التنبؤ بدرجة ونوعية تأثير السلوك القيادي على مجموعة معينة من الأتباع.
وتؤثر هذه العوامل الثلاثة السالفة الذكر على الأتباع بإحدى الطرق الثلاث التالية:
1- أن تكون »حاثّة « لدافعية الفرد وانكبابه على عمله.
2- أن تضبط سلوك الأتباع في شكل محدد لصالح العمل وهذه الضوابط تساعد على إبراز آمال الأتباع في أن الجهد سيؤدي للجزاء الحسن، وعلى الحد من تخوفاتهم من حدوث تضارب أو اضطراب.
3- كذلك فإنها تعتبر كمكافآت على بلوغ درجة الكفاءة المطلوبة للعمل فمثلاً: قد يعتبر الفرد أن الثناء الذي يتلقاه من زملائه في مجموعة العمل التي يتبعها، على حسن أدائه، مكافأة إضافية، بغض النظر عن ثناء القائد نفسه عليه. من هنا يمكن القول بأن أثر القيادة على دافعية الأتباع للعمل يرتبط بدرجة تأثير البيئة المحيطة كحاثة للدوافع، أو كضوابط للسلوك أو كعامل جزائي إضافي.
وبالنسبة للبيئة، فإن نظرية »الوسيلة والهدف« تؤكد على أنه عندما تكون أهداف العمل ووسائله واضحة-بسبب طبيعة العمل الروتينية، أو نمطية العادات ووسائل التحكم في الأداء - فإن أي محاولة للقيادة في أن تتدخل لإيضاح العمل ووسائله وأهدافه بشكل زائد ستكون غير ذات نفع، لأنها ستعامل من جهة الأتباع على أنها تدخل مباشر دون داع. وعلى الرغم من أن ذلك قد يؤدي إلى تحسن الأداء بعض الشيء إلا أنه سيؤدي كذلك للحد من درجة رضاء واكتفاء الأتباع في أداء عملهم.
كذلك فإن هذه النظرية تنص على أن سلوك القيادة يساعد على حفز همم العاملين ما دام يساعدهم على التلاءم مع مخاطر ومجاهل البيئة المحيطة التي تأتي من مصادر متعددة لإحباطهم.
ومثل هذا السلوك القيادي الذي يحمي الأتباع من مخاطر ومجاهل البيئة، يؤدي لزيادة دافعيتهم للعمل نحو الهدف، طالما أنه يزيد من قناعتهم بأن حسن الأداء سيؤدي إلى حسن الجزاء.
وهذه الافتراضات، والمواصفات الخاصة بالشروط الظرفية، تقدم هيكلاً مشجعاً يمكن من خلاله بناء وتطوير البحث مستقبلاً للوصول إلى نظرية متكاملة في القيادة.

1-Path-goal Theory of Leadership, HOUSE, R.J and MITCHELL, T.R, Journal of Contemporary Business 1974.P81-94

إسرائيل بعد 40 سنة...
دولة مضطربة

عن THE Guardian Weekly
(1/5/1988)

إعداد: قسم الترجمة بالمجلة

بـلـغـت إسـرائـيـل أربـعـيـن سـنـة من عمـرها ولازالت في اضطراب وحيرة تشبه حالتـهـا عند قيامها.

لـقـد تمـكـنـت إسـرائـيـل مـن اسـتـيـعاب ضعف السكان الأصليين من المهاجرين، وحولت مساحات شاسعة من الصحراء إلى أرض زراعـيـة منـتـجة، وأنـجـزت إنجـازات هـامـة في مجالات الصناعة والزراعة، ويحق لها أن تفتخر بأعلى نسبة من المثقفين القـادريـن عـلـى القراءة والكتابة؛ وبنسبة عالية من الكتب المنشورة تضاهي أعلى النسب في العالم.

لـكـن الاحتفالات هذا العام ألغيت بسبب اعتذار الضيوف الأجـانب عـن الحـضـور تحت تأثير الـخـوف أو الاشمئزاز من الانتفاضة الفلسطينية التي هزت أركان البلاد منذ ديسمبر الماضي، وتصرف الحكومة تجاهها، من جهة أخرى فإن الإسرائيليين أنفسهم لهم مشاغل أخرى.

إن سن الأربعين هو سن النضج، يعي فيه المرء هويته وحدوده، لكن الأمر يختلف بالنسبة لإسرائيل، فجميع المسائل الأساسية المتعلقة بوجودها لا تزال دون حل، وهي على الرغم من قدرتها العسكرية والاقتصادية لا يزال موضوع بقائها هشاً معرضاً للخطر، فالإسرائيليون لا يعرفون بعد شكل وطبيعة الدولة التي يعيشون فيها، وهم مختلفون على تحديد هويتهم، ومختلفون على من هو »اليهودي« وإلى الآن لم يتـفـقـوا على تحديد موقفهم من اليهود خارج إسرائيل، ومن غير اليهود الذين يعيشون داخـلـهـا، وفي الـوقـت الـذي يـتـفـاخـرون بـه باستقلالهم تراهم يزداد اعتمادهم يوماً بعد يـوم عـلـى قـوة أجنـبـية هي الولايات المتحدة الأمريكية التي قد لا تتفق مصالحها إلى الأبد مع مصالحهم، وقبل كل شيء؛ فإنهم - إلى الآن- لم يجيبوا على السؤال المصيري: ما معنى حصولهم على دولة، وهل إسرائيل حصن منيع يحتمي فيه اليهود من عالم معاد لا يرحم خلف جدران عالية مشحونة بالأسلحة؟! أم إنها دولة مثل سائر الدول، لها سفارات، وحلفاء، وأصدقـاء، وأعـداء، أي هـي وطـن يعيش فيه الشعب اليهودي كجزء من المجموعة الدولية؟

يقول الخبير في الشؤون السياسية شلومو أفنيري:

»لو سألتني عن رأيي لأخبرتك أن أبشع دور لعبته عداوة الـعـرب الـدائـمـة لـنـا هو أنها شغلت إسرائيل - منذ وجودها - بالصراع من أجل البقاء حتى إننا لم نجد من الـوقت ما يساعدنا على اتخاذ قرار حول طبيعتها".
لقد أطلقت الانتفاضة الفلسطينية شرارة جدل علني عنيف سوف يشـتـد في الانـتـخـابـات المقبلة في شهر نوفمبر، وإن هذا الجدل ليس بين العرب واليهـود بـل هـو بـيـن الـيـهـود أنفسهم، ولم يعد الخلاف حول مصير الأراضي المحتلة إلا مسـألـة واحـدة مـن مسـائـل كبيرة.
أثناء الفترة التي ركزت وسائل الإعلام العالمية الانتباه فيها على الانتفاضتة كـانت أفـضـل المؤسسات في إسرائيل تعاني من أزمات بالغة الحدة، فالخدمات الصحية تكاد تنهار تحت وطأة الإضرابات الطويلة المتتابعة التي يقوم بها الأطباء والعاملون في الحـقـل الـصـحـي، وكذلك الجامعة العبرية - وهي أفضل جامعة في البلـد - مـهـددة بـالإفـلاس، والمـدارس الحكومية في تدهور مستمر بسبب قلة التمويل، والكـثـيـر مـن الإسـرائيليين يرون أن خطر البيروقراطيين وعجرفتهم يضاهي خطر رماة الحجارة في غزة في تهديـده للمعنويات العامة ولسلامة إسرائيل.
وتعاني إسرائيل كذلك من أزمة قيادة؛ فقد انتهى جيل دافيد بن غوريون، وغولدا مائير، وموشى دايان، ومناحيم بيغن، وزعماء إسرائيل الحاليون أصغر حجماً وأقل تأثيراً.
يقول الفيلسوف اليهودي دافيد هارتمان:
"لابد أن تعود أربعون سنة علينا بشيء من مبادئ الحكمة، لقد انتهـت فـتـرة الـمراهـقـة لدينا... لقد كانت لنا آمال صباً كبيرة مثل حرب الأيام الستة والضـربـات الـسـاحـقـة في لبنان، ولكن الصراع الآن هو بين سياسة قائمة على الرعب النابع من أزمة نفسية من جهة وبين سياسة التعقل من جهة أخرى إن الـناس بحاجة لتزعـامـة، ولـكـن الـبـلاد لا تـزال محكومة بعقلية الأحياء والحارات، ولا يـزال السـاسـة ضيقي الأفق، ومن الصعوبة بمكان العثور على شخص قادر عن التعبير عن رؤية قومية حقة".
لقد كان الصهاينة الأوائل يتوقون إلى تكوين دولة يهودية، على غرار سويسرا تكون صغيرة ومحايدة وهادئة، فقد كتب ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية عام 1896 يقول:
"إننا كيهود سوف نعيش: »أحراراً على أرضنا، وسـنـمـوت في سلام في بـيـوتنـا، وسيتحرر الـعـالـم بحـريـتـنا، وسيستـغـني بمـالـنا، وسيرتـفـع بعظمتنا، وإن أي عمل نقوم به هناك لمصلحتنا الخاصة سينعكس على بقية العالم خيراً وبركة وسيكون له مردود قوي".
كـانـت تلك أحـلامـاً وردية، إلا أنـهـا لـم تحـسـب حـسـاب أمرين مشؤومين غيرا وجه الصهيونية (ا).

أولاً: كان الهولوكست الذي أجبر الصهاينة على استبدال تصورهم لدولة مثالية مؤلفة من نخبة من الرواد بخطة عملية تستهدف إعادة إسكان مئات الألوف من اللاجئين في وقت قصير.
ثانياً: كان هنـاك عـداء الـسكان الـعترب في فلـسـطين وفي الـدول المجاورة لما يسمى الآن إسرائيل، وهو عداء لا يروض ولا يستكين، فقليل من الصهاينة من استطاع إدراك مشكلة الـعرب، فأنصار الصهيونية الأوائل تصوروا أن العرب سرعان مـا سيـقـبـلون بـالحضـور اليهـودي في فلسطيـن، وسيرحبون بالامتيازات الاقتصادية التي ستنجم عن ذلك، حتى عندمـا خـاضـوا حـرب الاسـتـقـلال ضـد خمـسة جيوش عـربـيـة سنة 1948 فإن أغلب الإسرائيليين - حسب رأي شلومو أفنيري -توقعوا أنه بمجرد انتهاء الحرب سوف يقبل جيرانهم العرب بالأمر الواقع(2) لكن هذا لم يحصل، فقد ولدت إسرائيل في حلبة الصراع ولـما تخرج من هذه الحلبة منذ ولادتها، فحتى الآن يتحدى الفلـسـطيـنـيـون الاحـتـلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة بالحجارة والزجاجات الحارقة، ولكن حتى الآن لا يوجـد بـديـل سياسي مقنع يضمن في الوقت نفسه حق إسرائيل في الوجود ويلبي مطالب الفلسطينيين في الحصول على وطن. فعقلية الذي يعيش تحت الحصار؛ والحساسية المفرطة تجاه الأمن؛ والخوف من هؤلاء الذين لا يعترفون بحقك في الوجود، ويسعون بكل الطرق إلى تدميرك؛... كل هذا لا يزال جزءاً من كابوس يجثم على صدر كل إسرائيلي.
لقد أخطـأ الصهاينة الأوائل التقدير في شيء آخر كذلك، فقد توقع الكثير منهم أنه بمجرد قيام الدولة الـيـهـوديـة فـإن يهـود الشـتـات سيتـقاطرون من كل الأنحاء على »أرض الميعاد« طائعين، ولكن أغلب الذين عادوا فعلاً خلال السنيـن الماضية كانوا لاجئين، فيهود الغرب الأثرياء ظلوا بعيداً، حيث إن قيام إسرائيل قد ضاعف من نفوذ الكثير منهم سياسياً، ومن ثقتهم بأنفسهم في الدول التي يقيمون فيها، وقلل من رغبتهم في المجيء إلى إسرائيل الأمر الذي يثير التوتر والغضب بين شقي اليهود الإسرائيليين والأميركيين وهى مشاعر مشحونة تطفوا أحياناً على السطح بين الفينة والأخرى يعجب المرء لحدتها، كالتراشق الذي احتدم حول قضية الجاسوس (بولارد) أو سياسة القبضة الحـديـديـة الـتـي تنتهجها إسرائيل في الأراضي المحتلة.
إن أمة تعيش في سلام قد تجد من المفيد أن يكون جزء من أبنائها خـارجـهـا، يعمـلـون في تقوية وتحسين مركزها خاصة إذا كانوا كجاليات تتمتع بنفوذ لكن بالنسبة لدولة صـغـيرة تعيش تحت الحصار فإنها بحاجة إلى تجميع كل قواتها داخل جدرانها.
يقول المؤرخ الأمريكي آرثر هيرتزبرغ:

"مهما كانت لباقة الإسرائيليين فإنهم لم يتخلوا أبداً عن المبدأ الذي اختطـه »بن غـوريـون « بكل فظاظة بقوله: »إن اليهودي الحق هو من يعش في إسرائيل فقط".
إن الحصار الدائم الذي تعيشه إسرائيل أوقف نموها في مجالات مهمة أخرى، فالكثير من المؤسسات الاجتماعية الفريدة في البلاد مثل الجيش المدني والكيبوتسات، والهستدروت، وبرامج الصحة والخدمات الاجتماعية، قد أنشئت قبل قيام إسرائيل، وقد تلاشت الروح الاشتراكية التي قامت عليها هذه المؤسسات إذ أن الدولة نفسها تكافح من أجل البقاء.
لمدة طويلة كان يكفي لهذه المؤسسات لكي تزدهر الدافع الخاص باليهود للعودة إلى وطنهم الموعود.. والحياة الحرة في مجتمع يهودي خالص لكن في السنوات الأخيرة ركدت هذه المؤسسات الأساسية، ومثاليتها تآكلت في ظل التهرب من الحلول على الصعيد السياسي، ومن جراء التضخم المالي في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات.
المزارع الجماعية تحتاج إلى تمويل ضخم من الحكومة لتبقى على قيد الحياة،والهستدروت والخدمات الصحية والاجتماعية أصبحت إمبراطوريات مفضوحة للتبذير والفساد، حتى حزب العمل الذي أسسه بن غوريون والذي كان قوة سياسية متحركة أدركه الهرم، وقد فشل تحالف حزب العمل اليساري والليكود اليميني في مواجهة هذه الأزمات الداخلية.
الانحرافات أعاقت السياسة الإسرائيلية، وقيدت الزعامة الإسرائيلية بتحالفات أعاقت قدرتهم على اتخاذ القرار وأعطت للأحزاب الصغيرة نفوذاً يتجاوز حـجـمـهـا الـطبـيـعي، لأنها كثيراً ما تمكنت من تركيع الحكومة بانسحابها من التحالف. إن انتخابات 1984 تمخضت عن شلل أخير وأجبرت حزبي العمل والليكود على التناوب على رئاسة الوزراء بين »بيريز « وخصمه السياسي اللدود »إسحاق شامير«.
يقول جاد يعقوبي:
"إنها حكومة ذات رأسين تعاني من انفصام الشخصية وهى عـاجـزة عـن اتـخـاذ قرارات مصيرية بسبب الطريق المسدود الذي وصلته، حتى لو كان بيغن أو بـن غـوريـون رئـيـسـاً للوزارء الآن فإنهما سيعانيان من نفس المشكلة".
قريباً سيكون على الناخبين أن يختاروا، وهذه المرة ستأتي الانتخابات بعد الانسحاب من لبنان وحل المشكلة الاقتصادية في إسرائيل، وستكون الفروق أكثر وضـوحـاً بـيـن الأحزاب والبرامج اكثر واقعية. وقد يحاول السياسيون أن يرقعوا الاختـلافـات بينهم مـرة أخـرى ولكن سوف تكون وراءهم أصوات أخرى تتحدث عن الفروق الحقيقية.

ويعتبر الياكيم هيتسني المؤرخ والمنظر لحركة الاستيطان اليـهـودي في الضفة الغربية: أن اليهود كانوا دائماً متميزين عن بقية العالم، إذ كانوا يعانـون دائـمـاً مـن خليط من السحر واللعنة، نحن قوم كنا ولا نزال تحت رحمة القدر نـؤمـن بـإلـه واحـد لا يـرى، ولـذلك اضطررنا لبناء جدران حولنا والبقاء في حالة استنفار قصوى ليل نهار. كنا مجبرين على العيش في الجبال لا في السهول، حتى أننا خضنا غمار حرب أهلية منذ ألفي سنة كانت بين من يريدون التفرد ومن لهم نزعة عالمية. بالنسبة لنا يهودا والسامرة (الضفة الغربية) ليست مجرد قطعة أرض وإنما هي ساحة صراع.يدور عـلـيـهـا قـتـال دائم من أجل تأكيد هويتنا.
ويـرى هـيـتـسـنـي أنـه يجـب علـى إسرائيل عدم التخلي عن الضفة الغـربية إذا أرادت الاحتفاظ بشخصيتها اليهودية.
أما يهوشافاط هاركابي الرئيس الـسـابـق للمخابـرات العسكـريـة وأستاذ العلاقات الدولية فيرى أنه للسبب نفسه يجب التخلي عن الضفة الغربية، فقد قال: »نحن لا نستطيع أن نحارب العالم بأسره، ولا نستطيع التقوقع على أنفسنا أيضاً، فمما لا خلاف عليه أن هذا البلد سيبقى صغيراً حتى في حالة إلحاق الضفة الغربية كاملة به، وقد نستطيع أن نبقى أحياء داخل حدود غير آمنة ولكننا لا نستطيع أن نستمر كدولـة يهـوديـة إذا كان نصف شعبنا عازماً على محقنا، نحن بين أمرين أحلاهما مر ولذلك يجب علينـا اخـتـيار الأقل سوءا".

الهوامش:

1- إن كان وجه الصهيونية جميلاً عند أنصارها فهو قبيح أساساً عند العرب والمسلمين - المترجم.
2- إذا كان هذا ظن بعض اليهود فهو ليس اعتقاد جميع الذين عملوا على زرع إسرائيل في فلسطين - المترجم.

أدب وتاريخ (قصة قصيرة)

مقام الشيخ بركات

علي محمد

كـان الأسـتـاذ عـادل يـتـبادل الحـديـث مع الأستاذ سعيد وهما في طريقهما إلى المدرسة في الكَفْرْ، عندما صعد الحافـلـة متسـول نصف معـتوه، كبير في السن يهتز ويتأرجح، ويمسح لعابه بكمه المتهدل المتسخ، يستجدي الركاب ويتهدد ويتوعد، يهددهم بأنه سيدعو عليهم بأن تنقلب الحافلة بهم في عرض الطريق.

ويبدو أن الأستاذ سعيد من منبت متأثر كثيراً بالـكـرامـات والأولـيـاء، والأبدال والأوتـاد! حيث إنه طلب من الأستاذ عادل أن يبادر إلى إعطائه بعض الدراهـم خـشـيـة أن تنـقـلـب الحافلة فعلاً. لأن المتسول المذكور (عبد الكريم أبو شطة) من المباركين المستجابي الدعوة.
أجابه الأستاذ عادل: هل تتكلم من كل عقلك يا أستاذ؟
- طبـعـا ولـم لا؟ فـإن الأحاديـث عـن الخـوارق التي جـــرت على يديه يتناقلها الصغير والكبير، وسترى بعد قليل أنه سينزل ونمضي نحن في الحافلة، ويسبقنا إلى القرية التالية ماشياً، حيث سينتظرنا هناك.
- لا حول ولا قوة إلا بالله!
- ماذا يا أستاذ عادل ؛ أو تنكر الكرامات؟
- وهل قلت لك أني أنكر الكرامات؟
- لا لم تقل ولكن لسان حالك يقول هذا.
- أنا لا أنكر الكرامات بشكل مطلق يا أستاذ سعيد. فالله قادر أن يكرم من شاء من عباده، لكن أن تصبح الكرامات طعامنا وشرابنا وتدخلنا في باب إشراك هؤلاء العبيد والأموات مع الله سبحانه وتعالى في الخلق والأمر فلا.
- يعني أنت لا تصدق أن الشيخ أحمد أبو سـرود قـد جـاء من عرفات إلى استانبول وأكل الكبة المشوية عند أهله وعاد ليلاً إلى عرفات؟
- يا أستاذ سعيد، بارك الله في عقلك أهذا الذي تعلمته في الجامعة؟
- بدأنا بأسلوب السخرية!
- لا يا أستاذ سعيد أنا لا أسخر منك، ولكن أن يكون كلام العوام وخرافاتهم كلاماً منزلاً محكماً لا يقبل النقد، وتناقشني شهراً كاملاً حول حجية حديث الآحاد، وأنه لا يجوز أن نأخذ به في العقيدة لأنه ظني فهذا غير معقول.
- ولكن هذه الكرامات لا ينقلها العوام فقط، بل إن ساداتنا المشايخ ينقلون كثيراً منها عن أصحاب المقامات والأضرحة.

0• طيب يا أستاذ سعيد ما رأيك لو برهنت لك برهاناً عملياً أن كل هذه المقامات
• والأضرحة خلط بخلط؟
0• أعوذ بالله! أعوذ بالله!

(وكانت الحافلة قد وصلت بهم إلى الدوار الموصل إلى الكَفْرْ)

• هل هنا على هذا الدوار مقام أو ضريح يا أستاذ سعيد؟

-لا.

• إذاً ما رأيك لو أشعنا في الكفر أن على هذا الدوار قبراً قديماً لأحد الصالحين قد اندرس وضاعت معالمه؟
• لماذا ؟

- لأريك بأم عينك أن الناس ستحمل هذه الإشاعة محمل الجد، وربما يقيمون في العام القادم مقاماً كبيراً للشيخ المزعوم!

- دعك من هذا يا رجل، وهل تظن الناس مجاذيب إلى هذا الحد؟
- 0 طيب، أنت ماذا تخسر إذا تعاونت معي؟ أم أنت خائف من النتيجة.

- لا لست خائفاً، ولكن!

- وبما أنك نصف موافق فما رأيك أن نطلق على الشيخ المزعوم اسم: الشيخ بركات؟

- طيب،كما تشاء.

واتفقا على إشاعة الأمر بأسلوب هادئ في المدرسة وعند الحلاقين باعتبار أن دكان الحلاق من أهم وسائل الإعلان.

- 0 أجاب الحلاق (سليم أبو لسان) موافقاً على كلام الأستاذ عادل: طبعاً لابد أن يكون الأمر صحيحاً. وهل من المعقول أن الجديدة وأم الكوسا عندهم عشرات الصالحين، ونحن لا يوجد عندنا ولا مقام واحد؟

- الشيخ بركات يا حاج سليم كان من كبار الصالحين وكانت له مكانته عند الباب العالي.

- 0 إذاً أنت تعرف كل هذه المعلومات عن الشيخ بركات قدس الله سره وتسكت.
- لا والله أنا لست ساكتاً ولكن المسألة غابت عن ذهني في زحمة المشاكل. (وانتشر الخبر في الكفر انتشار النار في الهشيم. ورآه عدد من الناس في المنام، وتحدثوا عن طوله الفارع، وعمامته الضخمة وكراماته التي

لا تحصى، وكيف أن المئذنة كانت تنزل إليه عندما كان يريد أن يؤذن.. و.. و..).

(وبدأ الحديث في المدرسة بين أخذ ورد بين الأساتذة جميعاً).

- دعوكم من هذه الخرافات يا ناس.

- يعنى تريد أن تقول أن الشيخ بركات غير موجود؟

- طبعاً غير موجود.

- ما الذي تقوله يا رجل؟ ولماذا تريد مسخ الصورة الجميلة للشيخ بركات رحمه الله، وكيف تجرؤ أن تقول هذا؟ وهل تستطيع أن تثبت ذلك؟

- قبل أن تؤكد أن الشيخ بركات لم يوجد، وأنه لم يكن قط. عليك أن تعتبر ظروف الوجود، وأنواع الوجود. وأنا متأكد من أن الشيخ بركات كان موجوداً لكنه وجود من نوع شاعري خاص غريب.

- ولكن يا إخوة كيف انفجر الينبوع الغربي في الكفر على يديه إذا لم يكن موجوداً؟!

-لا، لا، هو موجود، لقد وجد على وجه ما.

- أجاب المدير باستخفاف. تعني أنه وجود ذهني في الخيال؟

- أو ليس الوجود الخيالي وجوداً ؛ أو ليس الأشخاص الأسطوريون موجودين؟

صحيح إنه ربما يكون وجود الشيخ بركات خيالياً، لكن افتـراض وجـوده، وتـأكـيـد هذا الوجود، هو تأكيد على وجود الأشخاص الذين يمثلون الخير والصلاح في هذا المجـتمع.

- لقد كان الشيخ بركات موجوداً. إنني أصر على ذلك، تفكروا أيها الأخوة قليلاً تصلوا إلى نتيجة تقول بأن شرط الوجود لا يشمل المادة فقط، إنه يعني فقط العلاقة بين الصـفة والموضوع، إنه يعبر عن علاقة فقط، حتى الصفات يمكن أن تأتي بعـد ذلك. والمـهـم هـو الجوهر وبعض الصفات الذاتية كالوجود. وقضية الوجود مفروغ منها بالأدلة المنطقية.

- وكيف ذلك يا أستاذ؟

- القضية بسيطة: - كل ما يقول عنه العلماء والمشايخ موجود فهو موجود.
- قال العلماء إن الشيخ بركات موجود.
- إذاً فالشيخ بركات موجود.
- المصيبة أن الشيعة الإمامية الذين قالوا بعصمة الأئمة أدى بهم هذا إلى التطرف فكيف بمن يقول بعصمة كل من وضع على رأسه خرقة ملفوفة؟!
- أتكفرني يا أستاذ السند والدليل؟!
- هو لا يكفرك يا أستاذ! طول بالك!
- ولكن لابد من الإقرار بأن الوجود من دون صفة هو - عملياً - عدم وجود شيء .
- ولكن صفات الشيخ موجودة وأكيدة. ألم تقرأ ما كتبت عنه الجريدة البارحة؟
- وماذا كتبت؟
- تحت عنوان »اكتشاف مقام الشيخ بركات « كتبت تقول:

ولد الشيخ بركات قدس الله سره في قرية الكفر عام 1100هـ وهو من سلالة سيدنا خالد بن الوليد، وقد درس على عدد كبير من العلماء منهم فلان وفلان، ولقد اشترك مع الجيش التركي في إحدى معاركه مع الصليبيين. وما إن استبد به الحماس حتى نفخ عليهم، فآثار زوبعة ضخمة، رفعت الجيش المعادي مسافة مائة متر في الهواء، وسقطوا جميعاً مضرجين بدمائهم...

- ومن أين جاء الصحفي بهذه المعلومات؟

- وهل جاء بها من بيت أبيه ؛ هذا تاريخ. ووالله أنت لا تصدق ولو رأيت الشيخ بركات بـأم عـيـنـيك. وهـل عـدم معرفـتـك لدلـيل على صحة المعلومات يعني أن المعلومات غير صحيحة؟
- ولكن هذه دعوى وتحتاج إلى دليل، فالبينة على من ادعى، وعلي وعليك التثبت من صحة أي دعوى، وإلا ادعى كل واحد منا ما يحلو له.
- هذه ليست دعوى، إنها حقيقة، وأنت الذي تدعي عدم صحة الخبر، وعليك البينة.

- يا رجل لا تحمل الأمر أكثر مما يحمل، وتستخدم كل وسائل الجدل في إثبات قضية اخترعها خيال الأستاذ عادل، ليثبت بها غوغائية الجمهور، والسير بلا تثبت وراء كل ناعق.
- الأستاذ عادل اخترعها!؟- أولاً: الأستاذ عادل يحب الجدل مثلك، وكل قضية يطلب عليها دليل، ودعواه عندنا غير مقبولة. فإنه من حقده على الأولياء والصالحين يدعي أنه هو الذي اخترع وجود الشيخ بركات، والشيخ بركات قدس الله سره موجود من زمن أجداده، ولن تنفعه دعواه شيئاً. وثانياً: فإن هذا الادعاء يزرع الشك في كل الأولياء والصالحين ومقاماتهم وكأن الدنيا خلت تماماً من الصلاح والصالحين. أعوذ بالله !!
وقرع الجرس وانصرف الأساتذة إلى الدروس، وسار الأستاذ سعيد مذهولاً مما رأى يحدث نفسه: معقول؟ غير معقول!. أيمكن أن تكون كل هذه الناس مجاذيب؟ والجريدة؟ أيمكن أن تردد ما يقوله الناس بدون تمحيص؟ غريب !!!
إن في الأمر لغزاً ما، كيف اجتمع المشايخ بالأمس في الدوار وأقاموا الحضرة (احتفال) للشيخ بركات؟ والشيخ بركات اخترعه الأستاذ عادل!!
أيمكن أن يكون الخرف أصابهم جميعاً؟ غير ممكن !! غير ممكن !!
وبدأت تتسرب إلى ذهنه فكرة جديدة تحل له اللغز. وهي أن الشيخ بركات موجود فعلاً، وأن الأستاذ عادل يعلم ذلك مسبقاً وقد خدعه وأوهمه أنه هو الذي اخترع وجود الشيخ بركات.
وحاول الأستاذ عادل أن يزيل هذه الفكرة من رأسه لكنه لم يفلح.
واستمر النقاش في المدرسة على هذا المنوال عدة أيام، وكان العام الدراسي في أواخره، وقد انتهت المناقشات بذهاب كل أستاذ إلى بلده عندما حانت العطلة الصيفية.
* * *
وفي العام التالي ركب الأستاذ عادل والأستاذ سعيد الحافلة ذاهبين إلى المدرسة في الكفر، وكان الأستاذ عادل قد نسي الموضوع لكنه انتبه إلى الأستاذ سعيد وهو يتمتم في سره ببعض العبارات عندما أصبحوا على مقربة من الدوار. وكم كانت دهشتهم كبيرة عندما وجدوا بناءاً جميلاً لمقام الشيخ بركات ينتصب شامخاً على الدوار وبجانبه مسجد كبير فخم على الطراز المعماري التركي.
ابتسم الأستاذ عادل ونظر إلى الأستاذ سعيد.
لكن الأستاذ سعيد لم يعره كبير انتباه، بل طلب من السائق أن يتوقف قليلاً، ورفع يديه وقرأ الفاتحة على روح الشيخ بركات.

(قصيدة)

يا مُسْلِمَة

من ديوان: شجون غريب

لأبي عاصم القارئ

يا مسلمهْ
ما بين نجد والسَّراة وحول آكام الحرم
ترتيل (أم المؤمنين) أضاء ديجوراً أصم
ونطاق (أسماء) الأبية في كتائبنا علم
وهدى رَحَى (الزهراء) سيدة الأمم
نغم يجلل هام حادينا
ويزين ترنيمات قارينا
ويهيج مكتوم الهوى للسيد الأكرم
يا مسلمهْ
هذي (علوج الروم) قد لبست بُرُوداً عربيه
يخفون أحمرهم، وأصفرهم، وكفر (المزدكيه)
لو يملكون لبعثروا فينا بذور الهمجيه
ولمزقوا خمر المصونات المخدرة الأبيه
ما هذه ريح الصبا
ولا شذى القيصوم، أو شيح الربى
لكنها هوجاء، زوبعة تولول، أجنبيه
يا مسلمه
إني أرى قطعانهم هاجت هياج الزبد
وتروم تاجاً قد لبستيه لعز الأبد
نسجته آيات الكتاب بقلبك المتوقد
وعلى جبينك أسدلته يد الحبيب (محمد)
فدعي قطيع البهم
يهوي لذل جهنم
ولنمض نحو سمائنا في المسجد.

نظرة في كتاب (الكامل) لابن الأثير

د. سليمان الدخيل

هناك فرق بين أن نـنسـب ابـن الأثيـر - عـلـيـه رحمة الله - إلى التشيع وحاشـاه عن ذلك ونحن لا نملك عليه دليلاً، بل نجد في ترجمـتـه ثـنـاء

الـعـلـمـاء والحفاظ من مشاهير أهل السنة(1)؛ وبين أن نقـف عند نزعة التشيع في كتابه (الكامل في التاريخ) وقفة لا تقلل من قدر الكتاب وقيمته بقدر ما تلفت النظر إلى ملاحظة يحسن التنبه لها.
وقـد اطـلـعـت على ما كتبه الأخ الكريم (محمد العـبدة) عن (ابـن الأثير وموقفه من الدولة العبيدية وبـعـض الـدول المعاصرة لها) في العدد التاسع من هذه المجلة الغراء (البيان) وقد لفت نظري ما أشار إلـيـه صـاحـب المقال مما يدل على نزعة تشيع عند ابن الأثير في هذا السفر العظيم، وقد تساءلت بيني وبين نفسي: من أين لابن الأثير هذه النزعة في الكامل؟
أترى هو الجهل بعقائد الشيعة الأمـر الـذي قـال مـعه ابن الأثير - حين حديثه عن دعوة العبيديين (الفاطميين) ولم يخرج فيه - يعني المعز-إلى حد يذم به!!(2).
قال في موضع آخر-وهو يتحدث عن واحدة من عقائد الشيعة (الرجعة) - ما نصه: (قال عمرو ابن الأصم: قلت للحسن بن علي: إن هذه الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: كذب والله هؤلاء الشيعة، لو علمنا أنه مبعوث قبل يوم القيامة ما زوجنا نساءه ولا قسمنا ماله). ثم يعلق ابن الأثير بعد ذلك قائلاً: (أما قوله هذه الشيعة فلا شك أنه يعنى طائفة منها فإن كل شيعة علي لا تقول هذا، إنما تقوله طائفة يسيرة منهم، ومن مشهوري هذه الطائفة جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، وقد انقرض القائلون بهذه المقالة فيما نعلمه)(3) .
وعلى كل حـال فـالـقـول بانقراض (الإمامية) وهم القائلون (بالرجعة والوصية) غير مقبول من ابن الأثير، لاسيما وقد عاش في عصر تكاثر فيه الشيعة وأصبح لهم وجود ظاهر إلى حد قال معه أحد الشيعة: (ولولا مجيء المغول لرفرف لواء التشيع على الشرق الإسلامي)(4).
وهو العصر الذي ألـفـت عنه كتب خاصة بأعيان الشيعة، وفيـهـم الإمامـيـة ومـن أبـرزهـا (الأنوار الساطعة في المائـة السابعة) للشيخ أغا بزرك الطهراني، وقد أحصى فـيـه مـؤلـفـه قـرابـة ثـلاثمائة رجل من أعيان الشيعة ومع ذلك قال محققه أنه لا يمثـل بشـيء تـاريـخ الشيعة في ذلك القرن الذي تغلغلوا فيه في بيوت الأمراء، ودخلوا بلاط الخلفاء، وكان منهم الوزراء والعلماء (5).
وكان من هؤلاء من كان في الموصل أمثال (محمد بن أبي الفوارس الحلي)(6).
وفي عقيدة الـرجـعـة - بالذات - والتي نفى ابن الأثير وجودها في عصره تطالعنا مصنفات الشيعة بالأعداد الكبيرة المؤلفة فيها على امتداد القرون، وفيها ما هو في القرن السابع - وقد عايشه ابن الأثـير - من أمثال: كتاب (الغيبة للحجة وما جاء فيها عن النبي والأئمة ووجوب الإيمان بها) للأشـــرف

بن الأغر المعروف بتاج العلا العلوي الحسيني المتوفي سنة 610 هـ، فهل كانت هذه الـكـتـب ســرية حتى لم يطلع عليها أمثال ابن الأثيـر؟ أم أنها ألفت في عصور متأخرة ونسبت للأوائل؟!
ووفق ذلك كله فالسمعاني (ت 562) يشهد بوجود أصحاب هذه العقيدة في عصره(7).
أم هي لظروف العصر وملابسات البيئة التي عاش فيها ابن الأثير؟ وهي بيئة كان للشيعة فيها وجود ليس على مستوى الأفراد فحسب وإنما على مستوى الولاة والحكام. ومن أمثلة ذلك: الملك الرحيم (ت 657) الذي ملك (الموصل) نحواً من خمسين سنة(8) وهو الذي أزال الدولة الأتابكية (وهم أسياده قبل)، وكان يبعث في كل سنة إلى مشهد علي قنديلاً ذهبياً زنته ألف دينار، وهذا-كما قال الحافظ ابن كثير-دليل على تشيعه، بل على قلة عقله (9).
وكان في الأصل أرمنياً، حتى نقل (الذهبي) عنه أنه كان يحتفل لعيد (الشعانين) لبقايا فيه من شعار أهله، فيمد سماطاً عظيماً إلى الغاية، ويحضر المغاني، وفي غضون ذلك أواني الخمور فيفرح وينثر الذهب من القلعة ويتخاطفه الرجال؟ فمقت لإحياء شعار النصارى، وقيل فيه:

يعظم أعياد النصارى محبة ويـزعـم أن الله عـيـسى بن مريم
إذا نبهته نخوة أريحية إلى المجد قالت أرمنيته:نعم(10)

وإذا كان الأمر كذلك فيه، فلا غرابة أن يسير إلى (هولاكو) التتري - بعد أن أوقع ببغداد ما أوقع، ثم انفصل عنها- على هيئة الخادم المتلطف له، ومعه الهدايا والتحف!! حتى رجع إلى بلاده متولياً من قبله(11).
هذا الملك أثنى عليه ابن الأثير في مقدمة كتابه، فقال: (... مولانا مالك الملك(!!) الرحيم، العالم المؤيد، المنصور المظفر بدر الدين، ركن الإسلام والمسلمين، محي العدل في العالمين، خلد الله دولته)!!(12). بل الأمر أعجب من ذلك، فابن الأثير إنما انساق في إتمام تأليف كتابه (الكامل) عن أمر الملك الرحيم هذا، وهذا ما حكاه ابن الأثير نفسه في مقدمة كتابه حين قال: (فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت وقواطع توالت وتعددت، لأن معرفتي بهـذا الـنوع كملت وتمت، ثم إن نفراً من إخواني وذوي الـمـعـارف والفـضـائـل مـن خلانـي.. رغبوا إلي في أن يسمعوه مني، ليرووه عني، فاعتذرت بالأعراض عنه وعدم الفراغ منه، فإنني لم أعاود مطالعة مسودته ولم أصلح ما أصلح فيه من غلط وسهو.. إلى أن قال: فبينما الأمر كذلك إذ برز من طاعته فرض واجب واتباع أمره حكم لازب، من أعلاق الفضل بإقباله عليها نافعة.. مولانا مالك الملك الرحيم.. فحينئذ ألقيت عني جلباب المهل، وأبطلت رداء الـكـسـل، وألفت الدواة وأصلحت القلم وقلت: هذا أوان الشد فاشتدي زيم، وجعلت الفراغ أهم مطلب، وإذا أراد الله أمراً

هيأ له السبب وشرعت في إتمامه مسابقاً، ومن العجب أن السكيت يروم أن يجيء سابقاً، ونصبت نفسي غرضاً للسهام، وجعلتها مظنة لأقوال اللوام...)(13).
وقال ابن كثير-في ترجمته للملك الرحيم -: وقد جمع له الشيخ عز الدين كتابه المسمى بالكامل في التاريخ فأجازه عليه وأحسن إليه(14).
وإذا كان الأمر كذلك فهل بإمكاننا أن نفسر نزعة التـشـيع في (الكامل) بهذا الأمر وهي نزعة لا يمكن تجاهلها ولا قبولها - مهما كانت أسبـابـهـا - فبالإضافة إلى الأمثلة التي ساقها الأستاذ محمد العبدة في مقاله الآنف الذكر أسوق الأمثلة التالية:
1 - في أحداث الفـتنة الواقعة بين الصحابة يلحظ القارئ (للكامل) تغليب الروايات التي تصف خصوم (علي) -رضي الله عنه- بصفات يبعد قبولها، بل يبعد أن يقول بها علي نفسه، ومنها أن علياً يصف معاوية ويقول: (... وخلاف معاوية الذي لم يجعل له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام، طليق بن طليق، حزب من الأحزاب، لم يزل حرباً لله ورسوله هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين...)(15).
وحين رفعت المصاحف (للتحكيم) في (صفين) من قبل أهـل الـشـام، قـال أصـحـاب علي:
نجيب إلى كتاب الله، فقال لهم علي: (عباد الله امضوا على حـقـكـم وصـدقـكـم وقـتـال عدوكم، فإن معاوية وعمراً، وابن أبي معيط، وحبيباً، وابن أبي سـرح، والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، فقد صحبتهم أطفالاً ثـم رجـالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال...)(16).
إذا كانت هذه الرواية - وأمثالها كثير- لا تليق بمقام الصحابة فلا أدري لمـاذا يكـثر من ذكرها (ابن الأثير)؟ دون أن يعلق على كثير منها.
فإن قيل: إن مجمل الروايات التي ساقها إنما سبقه بذكرها الإمام الطبري في (تاريخه) وابن الأثير في (مقدمته) أبان أنه اعتمد فيما شجر بين الصحابة على الطبري، فلا لوم عليه في ذلك؛ أجيب بأن هناك فارقاً في المنهج بينهما، فالطبري وإن لم يعلق على هذه الروايات المنكرة فقد صرح في مقدمته أن في تاريخه ما يستشنع وإن ذلك كـان مـن قبـل الرواة، ورأى الطبري أن إسناده كل رواية إلى رواتها يعفيه من التبعة، ويجعل الحكم للقارئ يحكم معرفته بالرواة، والأمر يختلف عند ابن الأثير الذي جعل من منهجه -أحياناً - الحكم على الروايات، والتعليق على بعض الروايات، وكان جديراً به أن يعلق على هذه المرويات المنكرة، كما صنع الحافظ (ابن كثير) الذي قال -في معرض حديثه عن هذه الروايات -: »ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم -يعني معاوية وأصحابه - وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في

مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهم إنما دخلوا في الإسلام ولم يزالا في تردد فيه وغير ذلك ...)17).
وحين تعرض لرواية أبي مخنف في لعن علي معاوية ومن معه، ثم لعن معاوية علياً ومن معه، قال:
»ولا يصح هذا والله أعلم«(18).
2 - وفي الدولة العباسية، وحين حديثه عن الخليفة (المتوكل) قال:
"وفي سنة 236 هـ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه.. وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أن يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم وكان من ندمائه من يسخر من علي -رضي الله عنه- وقيل أن المتوكل كان يبغض من تقدمه من الخلفاء: المأمون، والمعتصم، والواثق في محبة علي وأهل بيته، وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي، منهم علي بن الجهم الشاعر الشامي من بني شامة ابن لؤي، وعمر بن فرح الرخجي، وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالى بني أمية، وعبد الله ابن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجه، وكانوا يخوفونه من العلويين، ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم والإساءة إليهم، ثم حسنوا له الوقيعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين، ولم يبرحوا به حتى ظهر فيه ما كان، فغطت هذه السيئة جميع حسناته، وكان من أحسن الناس سيرة، ومنع الناس من القول بخلق القرآن إلى غير ذلك من المحاسن)(19).
وهذه الرواية حين نرجع إلى الطبري لا نجدها بهذا السياق، بـل نجد الطبـري يكـتـفـي بسياق الحادثة (هدم قبر الحـسـن ومـا حـولـه، وحـرث وإسـقـاء فوضـع القبر...)(20).
فلماذا أطال ابن الأثير في ذكرها مؤكداً على بغض المتوكل لعلي وأهل بيته، بل كان يبغض من كان محباً لعلي من الخلفاء قبله؟ وهل صحيح أن »ندماء المتوكل كانوا مشهورين بالبغض لعلي؟ وإذا كان الإمام أحمد من مستشاري المتوكل(21) فهل لهذا اكتفى بالإشارة إلى وفاته مجرد إشارة؟!(22).
وعلى فرض تسليمنا بكون المتوكل فيه (نصب)(23) فهل يستحق من ابن الأثير أن يقول عنه: »إن هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتله!
ويقول: إن هذه السيئة غطت جميع حسناته؟! وهو الخليفة الذي أثنى عليه طائفة من العلماء فقال: خليفة بن خياط (ت 240 تقريبًا) :
استخلف المتوكل فأظهر السنة - وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفـاق بـرفـع المحـنة وبسط السنة ونصر أهلها(24). وقال ابن خلكان: رفع المحنة في الدين وأخرج أحمد بـن حنبل من الحبس وخلع عليه(25).وقال ابن

تيمية:»وفي أيام المتوكل عز الإسلام حتى ألزم أهل الذمة بالشروط العمرية، وألزموا الصغار، فعزت السنة والجماعة، وقمعت الجهمـيـة والرافضة ونحوهم«(26). ويقول ابن كثير: »إن السنة قد ارتفعت جداً في أيامـه(27). وقـد استبشر الناس بولايته فإنه كان محباً للسنة وأهلها ورفع المحنة عن النـاس، وكتب إلى الآفاق لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن(28).
وكان محبباً إلى رعيته قائماً في نصرة أهل السنة، وقد شبهه بعضهم بالصديق في قتله أهل الردة لأنه نصر الحق ورد عليهم حتى رجعوا إلى الدين، وبعمر بن عبد العزيز حين رد مظالم بنى أمية، وقد أظهر السنة بعد البدعة، وأخمد أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتهارها فرحمه الله.
هذه بعض أقوال العلماء في المتوكل، وإذا كان يظهر منها تتبعه لأهل الـبـدع وقمـعهم فـإن قمعه لبدعة (التشيع) ظاهرة، فقد كان يتبع أخبارهم ويطارد مشايخهم في أقطار الخلافة، وتتبعه للشيخ (بشر الجعاب) الذي كان يظهر التشيع (بالدينور) وله أصحاب يجتمعون إليه ويأخذون عنه، كما ذكر قصته مطولة ابن خلكان(29) نموذج لهذا الـتـتـبع، ولـعـل هدمه لقبر الحسين من هذا الباب، والسؤال المطروح لماذا تستثير مثل هذه الأعـمـال ابـن الأثير إلى حد يقول معه إنها غطت جميع حسناته؟!
وفي معرض حديثه عن (المعتضد) ذكر أنه عزم في سنة 286هـ على لعن مـعـاوية بـن أبـي سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس. قال ابن الأثير: »وهو كتاب طويل قد أحسن كتابته، إلا أنه استدل فيه بأحاديث كثيرة على وجوب لعنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تصح..."(30) وهذا الكتاب ساقه (الطبري) بطوله في أحـداث سنة 284هـ (31) وفيه من الغرائب والأحاديث المنكرة ما لا يتصور، وفوق ما فـيه من أحاديث منكرة فهو صريح في لعن أبي سفيان وابنه معاوية، ويزيد، ومروان بن الحكـم بـن الحـكـم وولده وهم -كما في الكتاب - أئمة الكفر، وقادة ضلالة وأعداء الدين، ومجاهدي الرسول، ومغيري الأحكام، ومـبـدلي الـكـتاب، وسفاكي الـدم الـحـرام؟!!ـ (32) إلى غـيـر ذلك مـن شناعات يـحـار الـقـلـم في تـدوينها، ويعجز اللسان عن النطق بها والعجب أن يقول (ابن الأثير) أن الكتاب قد أحسن كـتـابـته !! وكان ينتظر منه أن يقول كما قال ابن كثير: إن هذا من هفوات المعتضد (33).

ثالثاً: تعاطفه مع الشيعة:

يظهر للمتأمل في (كامل ابن الأثير) تـعـاطـفـه مع الـشيـعـة، أو من لهم ميول (علوية) على الأقل، فتراه كثيراً يترجم للشيعة وخاصة (الإمامية) وربما ذكر بعض معتقداتهم ولم يعلق عليها، ففي أحداث سنة 305هـ قال: وفيها توفي أبو جعفر بن محمد بن عثمان العسكري رئيس الإمامية، وكان يدعي أنه الباب إلى الإمام المنتظر...(34)، وكما صنع مع (ورام بن أبي فراس)(35) الذي

توفي سنة 605 هـ وقال عنه ابن الأثير: وكان صالحاً(36) ويطيل في تراجمهم كما فعل مع الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن زريك الأرمني وزير العاضد العبيدي، والمتوفي سنة 556 هـ، والذي نص ابن الأثير على إمامته، وقال عنه: وكان الصالح كريماً فيه أدب، وله شعر جيد، وكان لأهل العلم عنده إنفاق، ويرسل إليهم العطاء الكثير، فذكر نماذج لها، ونماذج من شعره أيضاً (37)، وفي ترجمته للملك الأفضل (علي بن صلاح الدين)(38) أطال في ترجمته كذلك وامتدحه بأشياء لم يسبغها على أبيه (صلاح الدين)(39) وهو أفضل منه ومما قاله في الأفضل: »وكان رحمه الله من محاسن الزمان، لم يكن في الملوك مثله، كان خيراً، عادلاً، فاضلاً، حليماً، كريماً، قل أن عاقب على ذنب، ولم يمنع طالباً.. إلى أن قال: وبالجملة فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرق في كثير من الملوك، لا جرم حرم الملك والدنيا، وعاداه الدهر، ومات بموته كل فعل جليل، فرحمه الله ورضي عنه«(40).
وتعاطف (المنتصر) العباسي مع العلويين(41) جعلت (ابن الأثير) يقول في وصفه: كان المنتصر عظيم الحلم، وراجح العقل، غزير المعروف، راغباً في الخير جواداً كثير الإنصاف، حسن العشرة، وأمر الناس بزيارة قبر علي والحسين - عليهما السلام - فأمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه وأطلق وقوفهم وأمر برد فدك إلى ولد الحسين والحسن ابني علي بن أبي طالب عليه السلام(42) بل نقل عن بعضهم: إن المنتصر كان شاور في قتل أبيه (المتوكل) جماعة من الفقهاء وأعلمهم بمذاهبه، وحكى عنه أموراً قبيحة كرهت ذكرها، فأشاروا عليه بقتله فكان كما ذكرنا بعضه(43).
وفي مقابل هذا التعاطف كان ابن الأثير يعرض ببعض أهل السنة الذين يرى منهم انحراف عن علي --رضي الله عنه-، كما ذكر في ترجمته لمصعب ابن عبد الله بن ثابت بن عبد الله بن الزبير(44) وفي حديثه عن الحسن ابن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ذكره فيمن توفي سنة168 هـ ثم قال عنه: »وكان قتد استعمله المنصور على المدينة خمس سنين ثم عزله وحبسه ببغداد، وأخذ ماله فلما ولي المهدي أخرجه ورد عليه ماله، وكان جواداً إلا أنه كان منحرفاً عن أهل بيته مائلاً إلى المنصور«(45).
وأخيراً فهذا ما تيسر الوقوف عليه في (الكامل لابن الأثير) ويبقى بعد ذلك كلمة أراها مهمة في نهاية هذه الدراسة، وهي أن هناك صنفين من القراء قد لا يستفيدون من هذه الدراسة الفائدة المرجوة:
الصنف الأول: يفهم هذه الدراسة فهماً قاصراً ينتقض هذا السفر العظيم (الكامل)، بل ربما وصل به الأمر إلى انتقاص (ابن الأثير) نفسه، نظراً لوجود هذه الملاحظات عليه فلا يرى حاجة إلى الاستفادة منه، وإذا ذكر عنده اشمأزت نفسه، وتمنى لو غيره ذكر!!

والصنف الثاني: على النقيض وهؤلاء بلغت بهم الثقة، ووصل بهم الإعجاب مبلغاً لا يمكن أن يقبلوا معه نقداً صحيحاً -لا يقلل من قدر الكتاب، ولا ينقص من قدر مؤلفه - بل يعتبرون هذا النوع من الدراسة هدماً لكتب التراث وتجنياً على جهود الأسلاف... إلى غير ذلك من التهم الباطلة.
والحق أن كلا الأمرين قصور في الفهم لا تهدف إليه هذه الدراسة التي أريد منها مزيد الثقة بهذه النفائس من كتب التراث بعد إيضاح ما فيها من هنات لا يكاد ينجو منها عمل البشر. والله المستعان.

الهوامش:

1 - انظر ترجمته في البداية والنهاية 13/133 وسير أعلام النبلاء 22/353.
2 - الكامل في التاريخ 8/664.
3- الكامل 3/392،393.
4- أغا بزرك الطهراني: الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ص 88.
5- المرجع السابق، ص هـ، و.
6- انظر الأنوار الساطعة/166.
7- الأنساب 1/344، اللباب 1/84.
8- ابن كثر: البداية والنهاية 13 /203.
9- المصدر السابق 13/203.
10- سير أعلام النبلاء 23/357.
11 - المصدر السابق 23/357.
12- الكامل 1/5.
13- الكامل في التاريخ 1/4-6.
14 - البداية والنهاية 13/203
15 - الكامل في التاريخ 3/291.
16- الكامل في التاريخ 3/316.
17 - البداية والنهاية 7/282.
18 - المصدر السابق 7/310.
19- الكامل 7/55،56.
20- الأمم والملوك 9/185.
21- انظر البداية والنهاية 10/358.
22- الكامل 7/80.
23- ذكره الذهبي: سير أعلم النبلاء 12/35.
24- انظر سير أعلام النبلاء 12/31.
25- وفيات الأعيان 1/351.
26- الفتاوى 4/21،22.
27- البداية والنهاية 10/358.

28- المصدر السابق 10/382.
29- وفيات الأعيان 1/351.
30- الكامل 7 /485.
31 - تاريخ الطبري 10/55-65.
32- الطبري 10/62.
33-البداية والنهاية 11/86.
34-الكامل 8 /109.
35- ورام هذا ذكره صاحب طبقات أعلام الشيعة (الأنوار الساطعة في المائة السابعة، ص 197)، وانظر: لسان الميزان 6/218.
36- الكامل 12/282.
37- الكامل 11/274،275
38- ذكر الذهبي تشيعه، فقال: وفيه تشيع بلا رفض. سير أعلام النبلاء 21/295، كما ذكر تشيعه،ابن كثير في البداية والنهاية 13/104، والصفدي في: الوافي بالوفيات 12/234 واغا بزرك الطهراني في (طبقات أعلام الشيعة) (الأنوار الساطعة في المائة السابعة) ص 121.
39-انظر ترجمته لصلاح الدين في الكامل 12/ 95، وما بعدها.
40- الكامل 12/428،429.
41- انظر: سير أعلام النبلاء 12/42.
42- الكامل 7/116، ويلاحظ أن ابن الأثير كلما جاء على ذكر علي أو أبنائه قال: عليه السلام، كما يلاحظ هنا تقديمه الحسين على الحسن؟!.
43- الكامل 7/115.
44-الكامل 7/57. ومصعب هذا أثنى عليه طائفة من العلماء ووثقوه، ولم يذكروا هذا الانحراف فيه، بل ذكروا توقفه في القرآن. انظر: تاريخ بغداد 13/113،114 سير أعلام النبلاء 11/30، ميزان الاعتدال 4/120، تهذيب التهذيب 10/163.
45- الكامل 6/80.

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

حول الانتفاضة

حوار مع وفد مسلمي بريطانيا

في الفترة الواقعة بين 12-18 آذار (مارس) قام وفد من المسلمين البريطانيين [المكون من: إبراهيم هيوت، وسليمان إيتم، وموسى باترسون، وعيسى دربي، ومحمد عطاء الله، وعبد الله باول، وعبد الرحيم غرين، وصاحب مستقيم بليهر، برئاسة الأخ يـوسـف إسـلام] بزيارة لتفقد أحوال

المسلمين في فلسطين المحتلة، وكانت فرصة طـيـبة لمـجـلـة »البيان« أن تلتقي مع بعض أعضاء هذا الوفـد: الأخ يوسـف إسـلام والأخ إبراهيم هيوت لتنقل للقراء انطباعات هـؤلاء الأخـوة عـمـا يـعانيه الفلسطينيون تحـت الاحـتـلال الإسـرائيـلي، وما شاهدوه من أوضاعهم هناك.

وبعد الترحيب بهم وتهنئتهم بسلامة العودة كان هذا الحوار:

البيان: لاشك أن أحداثاً هامة جدت على الساحة الفلسطينية، هل كان ذلك هو الدافع وراء زيارتكم لإخوانكم هناك؟

الأخ يوسف إسلام: لقد عزمنا على زيارة فلسطين إثر مشاهدتنا على شاشات التلفزيون المعاملة الوحشية التي يعامل بها اليهود إخواننا وأخواتنا في الإسلام هناك، وخاصة بعد اقتحامهم المتكرر للمسجد الأقصى، لقد أثرت بنا تلك المناظر عميق الأثر، حيث استحال بعد ذلك أن يقر لنا قرار، وأن نبقى عاجزين عن أي حركة، لذلك صممنا على الذهاب إلى تلك البقاع، وزيارة إخواننا، وتقديم ما في طاقتنا من مساعدة مادية أو معنوية.

أو على الأقل إحساسكم بضرورة إشعارهم بتعاطف ودعم إخوانهم خارج فلسطين؟

* نعم، مع أننا لم نكن نعلم في البداية أن الأخبار الخارجية تـكـاد تـكـون مـعدومة، وقد تبين لنا فيما بعد أن اتصالهم بالعالم الخارجي ضئيل جداً، وأنهم ليـسـوا على علـم بمـا يجري خارج فلسطين، أو حتى في أماكن أخرى من فلسطين نفسها، فالاتصالات الإذاعية والمنشورات الصحفية وغيرها معرضة لرقابة شديدة، وكان علينا -كمسلمين بـريطـانيـيـن نـتمـتـع بما لا يـتمـتع بـه كثـير من المسلمـين وهو حرية التنقل - أن نخترق هذا الطوق الحديدي، فنتصل بهم على أمل أن تطمئن نفوسهم إلى أن لهم إخوة يشاطرونهم مشاعرهم.

أين أقمتم خلال هذه الزيارة؟

* لقد نزلنا في فندق بالقدس اسمه »مضافة الحجاج « وهو ملك لأحد المسلمين، ثم انطلقـنا من هناك في مختلف الاتجاهات.

هل يمكن أن تحدثونا عن جولاتكم هناك؟

* كان لنا برنامج عمل وضعناه، بمساعدة بعض الإخـوة مـن الأوقـاف (أوقــاف المـسـجـد الأقصى) لـقـد قـدمـوا لـنـا نـصائح، ولأن الوقت قصير جداً فقد حرصنـا على استغلال كل دقـيـقـة لـزيـارة أهـم المناطق وتكوين فكرة عامة، فذهبنا إلى أمكنة كثيرة في الضفة الغربية وغزة، ومسحنا مناطق: نابلس، رام الله، الخليل،أريحا، الجليل.

لاشك أن الفلسطينيين يعانون كثيراً من الاحتلال الإسرائيلي فهل لمستم ورأيتم شيئاً من هذه المعاناة؟

* لو نظرنا إلى الأمر نظرة عامة، فمنذ وصولنا تبين لنا بشكل واضح أن اليهود يحاولون إحكام السيطرة على كل شبر، فلا يمكن لأحد أن يتحرك دون ترخيص مـن الـيـهـود، فالسيارات لها لوحات ملونة بألوان خاصة للتعرف ما إذا كانت قادمة من الضفة الغربية أم لا، وليس باستطاعة أحد أن يتجول خارج الضفة لأنه لو فعل ذلك لكان من السهـل إيقافه، وهو معرض دائماً لمثل هذه الأسئلـة: مـن أنـت؟ وإلى أين تـقصد؟ وأيـن أوراقـك الشخصية؟ ... الخ وهم يسعون إلى إفساد برنامجك وخاصة إذا كـنـت مسلماً، عندما دخلنا وسط الفلسطينيين رأينا تلك المنازل المتداعية الفقيرة، فسألنا عن أصحابها فعلمنا أنهم مسلمون، فسألنا: لماذا لا يعاد بناؤها؟ فكان الجواب أنه ليس لهم الحــق في إعادة بنائها، ولو حاولوا الحصول على تصريح بإعادة البناء لما استطاعوا، حيث إنه من رابع المستحيلات الحصول على هذا التصريح، فالعقبات الإدارية معقدة جداً، وأخيراً وبعد ضياع وقت طويل يكون الجواب: لا، ليس لك الحق في البناء وقد يحدث أن يحصل البعض على الموافقة، ولكن هذا صعب ونادر جداً.
إلى جانب ذلك ترى مدناً هائلة حديثة البناء ومجهزة بأحدث التجهيزات والمرافق، وقد اختيرت لها الأماكن الاستراتيجية فبدت كالقلاع الحصينة فتسأل عنها فيقال لك: إنها المستوطنات! كنا نظن أن المستوطنات عبارة عن مخيمات مؤقتة متواضعة ولكن هذا الظن زال عندما رأيناها رأي العين، والأنكى من ذلك أن هؤلاء الفلسطينيين الذين لا يسمح لهم بإعادة بناء بيوتهم المتهدمة هم الذين يبنون تلك المدن المحصنة الحديثة (المستوطنات)، إذاً ماذا يفعلون وقد سدت إسرائيل في وجوههم كـل طـرق الـرزق وألجـأتـهـم إلى العمل في خدمتها؟! إن ما رأيناه من مفارقات هناك غريب وخارق للعادة حقاً.
ومع كل هذا الوضع المأساوي ترى الجنود الإسرائيليين المدججين بالـسلاح يـتـبخـتـرون بخيلاء وبطر ويضحكون من المسلمين وإذا رأوا أحداً فليس غريباً أن يخاطبه أحدهم: هيه، أنت، خذ هذه الحجارة وارمها هناك، ونظف هذا المكان... وإذا خالفـهـم انهـالـوا عليه بالضرب وأنواع الإهانات!
لقد ذهبنا للصلاة في المسجد الأقصى، وعلى الرغم من فرحنـا بـذلك لكننا كنا نشعر أننا محاصرون من كل جانب وخاصة يوم الجمعة، فعدسات التصوير وكـاميـرات الـفـيـديـو منصوبة في كل جانب من جوانب المسجد الأقصى تراقب المصلين والداخل والخارج، والجنود فوق السطوح وفي ساحة المسجد، والطائرات العمودية تحوم حول وفوق منطقة الحرم، ومقابل المسجد تبدو الجامعة العبرية على التل وقد نصبت فيها أجهزة التصوير وأجهزة التنصت، هكذا تحـس طـيلـة وجـودك هناك أنـك مـحـاصر، وبعد الصلاة يبدأ الأطفال بالتكبير (الله أكبر) ثم الرجال ثم بعد ذلك النساء، إنها

مأساة إنسانية لا توصف وليس لها نظير في العالم تحدث كل يوم جمعة، يلي ذلك هدير الطائرات العمودية وصوت آلات التصوير التي تلتقط صور هذا المشهد.

ماذا عن السجون الإسرائيلية؟

* لقد ذهبنا إلى نابلس حيث وقعت اضطرابات كبيرة والتقينا مع بعض الأخوة الذين كانوا في السجن فرووا لنا ما يجري في السجون وطبيعة المعاملة التي لاقوها في السجن، لقد قضى بعضهم 16 عاماً وبعضهم 7 سنوات، وقد وصفوا لنا سياسة التجويع التي تفرض عليهم في السحن، وكذلك حشر العدد الكبير في مكان لا يتسع إلا لواحد فقط! لقد أغلقت المدارس وعطلت لتتحول إلى سجون،8 آلاف سجين باعتراف اليهود أنفسهم، هل تصدق؟ بالإضافة إلى الـجنود الـذيـن يـعـيـثـون فـسـاداً فيغيرون على المنازل ليلاً يكسرون النوافذ والأبواب ويحطمون الأثاث ثم يذهبون...

هل لاحظتم آثاراً للتوجه الإسلامي في الانتفاضة؟

* لاشك أن الإسلام يشكل محركاً أساسياً وقوياً لهـذه الانتفاضة، فـالـشعب الفلسطيني في غالبيته شعب مسلم ولابد له أن يستوحي عوامـل الإصـرار والـصمـود في وجـه الـعـدو من عقيدته وثقافته، وقد كان المنطلق الأساسي لهذه الانـتـفـاضة من المـسـاجـد، وكـذلك فــإن ملاحظة شيوع الحجاب الإسلامي بين النساء هناك، في الضفة وغزة تدل على أثر إسلامي واضح.

ما مظاهر التمييز التي يقوم بها اليهود ضد المسلمين؟

* هناك مؤسسة إسلامية في غزة تدير مأوى للعـجـزة وكـبـار الـسـن وكان من شأنها أن أمر الحاكم العسكري حظر جمع التبرعات لهذه المؤسسة، وأمر بإغلاق المأوى وهكذا هام هؤلاء العجزة على وجوههم بدون مأوى ولا حماية، بينما رأينا على مسافة أمتار قليلة من المأوى المغلق مؤسسة مسيحية لها كل صلاحيات التوسع والتسهيلات، بل هناك منظمة شيوعية! أما إذا كان الأمر يتعلق بمنظمة إسلامية فإن أشد القرارات وأكثرها إجحافاً تتخذ ضدها.

هل شعرتم أن موقفكم تبدل بعد اطلاعكم المباشر على الأحداث هناك؟

* نعم، تصورنا الأساسي لحقيقة اليهود تغير جذرياً، فقد كنت أظن - كمسلم بريطاني - أن اليهود ليسوا بهذه الصورة من الفظاعة، ولكن بعد أن رأيـتـهم بـأم عيـنـي فيمـكـن أن أعتبرهم أقسى الناس قلوباً وأشدهم وحشية، وإلا فما جريمة الـعـرب المسلمين في فلسطين تجاه اليهود، هل نكلوا بهم كما فعل فيهم في دول أوربا؟ وهل كـانـت فلسطين في أيديهم فجاء الفلسطينيون فانتزعوها منهم؟! أم أن جريمة أهل فلسطين أنهم من حملة رسالة آخر الأنبياء محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى البشرية.

إنهم يقدمون أنفسهم إلى الغرب على أنهم هم الدولة الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط في حين أن كل الدول المحيطة بها دول دكتاتورية!

* إن الدعاية السياسية الرهيبة والتي يتحكمون بها هي التي تجعل الغربيين يتقبلون هذا التزوير، وإن أفضل طريقة لمقارعة اليهود هي الإسلام، لا السياسة ولا الدعاية، ولا المال، الإسلام فقط، فهو أكبر خطر يتهددهم ويرعبهم.

هل الدوافع التي تجعل مسيحي الغرب يقدمون المساعدات الكبيرة لليهود هي اشتراكهم في ثقافة واحدة أم هو التعصب ضد المسلمين والتأثر بدعايات اليهود؟

* إننا نعتقد أن هذا التآمر من قبل اليهود والذين يدعمونهم ليس إلا استمراراً للحروب الصليبية والحملات الاستعمارية ضد المسلمين، وهي شكل جديد يعتمد على تجزئة العالم الإسلامي وتفتيته، وهي حلقة من المخطط العام، وهم بزرعهم إسرائيل في فلسطين تمكنوا من طعن العالم الإسلامي في الصميم، وجعلها عامل عدم استقرار دائـم يستـنـفـذ الطاقات وينشر الفتن، وإن مشكلة فلسطين تبقى المشكلة المركزية للعالم الإسلامي، ولا تـقـارن أي مشكلة إسلامية أخرى بها أبداً.

بالنسبة لك كمواطن بريطاني تمكن من زيارة فلسطين ما هي رؤيتك لدورك، أنت وبقية المسلمين هنا في بريطانيا؟

* أولاً: إطلاع الناس على مشاهداتنا، والتعبير عن مشاعرنا ، وذكـريـاتـنـا مع إخوانـنـا الواقعين تحت الهيمنة الإسرائيلية والمحاصرين من كل جانب، وسنحاول مساعدتهم على قـدر طـاقـتـنـا عـن طـريـق جمـعـيتة الإغـاثـة الإسـلامـية، وعن طـريق إلقاء المحاضرات والتصريحات.

هل كانت لكم مناقشات مع بعض الإخوة، وهل قدموا لكم بعض الآراء؟

* لقد حدثونا عن تجاربهم المريرة تحت نير الاحتلال وما يتعرضون له من محن. فالحياة اليومية عندهم صراع دائم من فقد أبنائهم ومن إتلاف متاعهم، ومن سـوء المـعـامـلة التي يلقونها من العدو، وكأن لسان حالهم يطلب أن ننقل هذه الصور السوداء عن معاناتهم إلى ما وراء حدود فلسطين، إلى جميع بلدان؟! العالم، فهم مدركون لأثر النشاط الإعلامي، وهاهم اليهود يستغلون كل الأكاذيب وكل أساليب الدعاية من أجل أن يلفتوا نظر العالم إليهم.

نتقدم بالشكر لأعضاء وفدكم الكريم، ونحيي فيكم هذا الاهتـمـام بـأوضـاع المسلمـيـن في فلسطين المحتلة، ونرجوا من الله سبحانه وتعالى أن نلتقي

دائمـاً على ما فـيـه مصلحة المسلمين وعزتهم. وأن تكون أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

نداء لإغاثة المسلمين في لبنان

إن المتتبع لأخبار (لبنان) هذا البلد المنكوب بحرب قذرة خطط لها من قبل القوى الكبرى وإسرائيل، وشارك أباطرة الطوائف في تأجيجها حتى أكلت الأخضر واليابس. إن المتتبع لهذه الحرب لا يسعه إلا أن يـرى أن الفـئـة الـوحيدة المغـبـونة والتي تدور الحرب على رؤوسهـا هـم أهـل الـسـنـة فهـم الـذيتن ضـربـوا في بـيـروت وطرابـلـس وصيدا والمخيمات الفلسطينية، وهم المعزولون عن القرار السياسي، وهم الذين تضرروا أكـثـر متن غيرهـم من الدمار الاقتصادي الذي حاق بلبنان، فكل الفئات الأخرى تقدم لها المساعدات الكبيرة من دول عربية وأجنبية، ومن الأمثلة على ذلك أن ما تنفقه إيران على شيعة لـبـنـان يـزيـد تقريباً على خمسين مليوناً من الدولارات شهرياً، وليست المساعدات المادية فقط هي التي تقدم للطوائف الأخرى، بل إن التخطيط المعادي للإسلام مكنهم من السيطرة على مناطق مهمة في لبنان فأقاموا فيها دويـلاتهم، وهـذا مـا مـكنهـم من ابـتـزاز الأمـوال والتلاعب بمقدرات الناس(1) وقد أشارت الصحف كثيراً إلى مثل هذه الأمور، وأصبح زعماء الطوائف لا يستحون من التصريح بها، ومـنـذ بـدء الحرب في لبنان وحتى كتابة هذه الأسطر فقد حرص اليهود والأمريكان والسوفييت والنصارى وأشباههم في المنطقة العربية على أن يبقى أهل السنة كالأيتام على موائد اللئام، ولطالما اجتمعت هذه القوى الكافرة المجرمة ووقفت في خندق واحد لتبطش بالمسلمين في كل مكان.

وكان من آثار التدهور الاقتصادي المريع في لبنان أن المسلمين ازدادوا فقراً في حين ازدادت الطوائف الأخرى ثراءً لأنهم من تجار الحروب، ونحن من خلال المؤسسة التي تصدر مجلة البيان (المنتدى الإسلامي) قمنا بدور متواضع في مساعدة إخواننا المسلمين في لبنان، ولكن حاجتهم أكبر من طاقتنا، ومن يطالع الـصـحـف ويستمع إلى وكالات الأنباء يحترق قلبه ألماً مما يسمع ويقرأ عن الأطفال الجياع والرجال الذين يراد لهم أن يكونوا أذلاء، أمام هذه المناظر المفجعة وانطلاقاً من شعورنا بألم إخـوانـنـا فإنـنـا ندعـوا المحسنين إلى البذل والإنفاق وليذكروا دائماً قوله تعالى: ((مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْـبُـلَةٍ مِّـائَـةُ حَـبَّـةٍ وَاللَّهُ يُـضَـاعِـفُ لِـمَـن يَشَـاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))[البقرة:261].

وليذكروا قول رسول الله -صـلـى الله عليه وسلم-: »المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر«.
فأين أنتم يا أبناء الجسد الواحد؟ تذكروا عندما تجلسون مع أطفالكم أن هناك في لبنان أطفالاً لا يجدون رغيف الخبز، تذكروا أن هناك نفراً من المسلمين تستغل أوضاعهم من أجل إخضاعهم ويتحكم في مصائرهم كما يتحكم بالسوام من البهائم.
ونحن في (المنتدى الإسلامي) نرسل بانتظام مساعدات إلى المسلمين في لبنان، ومن يرغب في المساهمة في هذا الخير فيمكن أن يرسل إلى العنوان المبين في نهاية هذه الصفحة في لندن ويذكر فيه أن هذا المبلغ مخصص للبنان، وليكن مطمئناً أن هذه الأموال تأخذ طريقها إلى الأفواه الجائعة والأجسام العارية وتوزع حسب موازين شرعية ليس فيها إن شاء الله هوى أو تفرقة.

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
National WEST MIN STER BANK
FULHAM BRANCH
ACCOUNT NO: 44348452
FULHAM ROAD 831
LONDON SW6 UK

1- أقاموا مرافئ يستوردون ويصدرون عن طريقها كل الأشياء الممنوعة كالأسلحة، والمخدرات التي ازدهرت مزارعها والتعامل بها في ظل هذه الفترة السوداء.

هزيمة جديدة لأثيوبيا

حققت جبهة تحرير أريتريـا نـصـراً كبيراً على صعيد القتال الطويل ضد الجيش الأثيوبي وذلك حينما تمكن مقاتلوها من دحـر الأثـيوبـيـيـن عن مدينة (أفابـيـت) البالغة الأهمية في هجوم مباغت شنوه في 17/3/1988 موقعين في صفوفهم أبلغ الإصـابـات وأجسـمـهـا على الإطلاق منذ اشتعال نار الحرب هناك منذ ما يربو على ربع قرن.
وقد أكد صحافيون غربيون - زاروا المعركة - ما أعلنه المـقـاتـلون من تحـريـرهـم للمدينة المذكورة،ورووا ما شاهدوه من مناظر مروعة على سفوح التلال المحيطة بالمدينة تدل على فداحة الهزيمة التي لحقت بالأثيوبيين في هذه المعركة لوحدها.
ويرى السالك للطرق المؤدية إلى (أفابيت) سيـلاً مـن سـيـارات الشحن العسكرية الأثيوبية- الـتـي غـنمها المقاتلون - المدججة بالذخيرة إلى جـانـب

مـئـات المـدافـع ومنصـات إطلاق الصواريخ والدبابات التي بلغ عددها(60) دبابة حسب مصادر الجبهة.
فقد ولى الأثيوبيون مدبرين دون أن تتوفر لديهم الفرصة حتى لاصطحاب أسلحتهم معهم. كما تمكن الأرتيريون من أسر أعداد كبيرة جداً من الجنود الأثيوبيين بلغت (18 - 20) ألف. كما وقع في قبضتهم ثلاثة من المستشارين العسكريين الروس أحدهم برتبة عقيد. وفي تطور آخـر تمـكــن الأرتـيـريــون مـن إزاحــة القوات الأثيوبية عن منطقة شمال بحري في 22/4/1988 مكبدين إياهم (1085) إصابة بـيـنـهـا (530) قتيل، كما قصـفـت مدفعيتهـم ضواحي مدينتي كون وأسمرا عاصمة أريتريا، كما أنهم أعلنوا استعادتهم لمدينة أجاردات الواقعة في غرب الإقليم. وتبدو حكومة أديس أبابا -بـعـد الهـزائـم التي مـنـيــت بها- في حـاجــة أكـثـر من أي وقت مضى إلى تحقيق نصر مهم على صعيد القتال وذلـك أمـلاً فـي استعادة ما فقدته من مواقع بالغة الأهمية، إلى جانب النهوض بمعنويات جيشها المنهارة.
وقد أقدمت حكومة أديس أبابا على اتخاذ خطوات في اتجاه الإعداد لهـجـوم مـعـاكـس كبير، من بينها إعادتها للعلاقات الدبلوماسية مع الصومال الأمر الذي أتاح لها فـرصـة سحب ألوف من قواتها المرابطة على الحدود هناك وزجها في الجبهة الشمالية. أما على الصعيد الإعلامي فقد امتلأت الصحف الأثيوبية بالنداءات التي تحـث الـشـبـاب على الانخراط في صفوف الجيش استعداداً لسحق المتمردين على حد زعـمـهـم. وتقول مصادر دبلوماسية غربية أن (منغستو هيلا ماريام) رئيس النظام الأثيوبي ربما يكون قد تمكن من حشد ما بين (100-150) ألف مقاتل معظمهم في مقتبل العمر. ومن جهة أخرى وكخلق شيوعي مألوف، لجأ ماريام إلى استخدام سياسة التجويع في المناطق الـدائر فيـهـا القتال وتمثل ذلك بطرده للعديد من هيئات ومنظمات الإغاثة الدولية العاملة هناك، الأمر الذي سيؤدي حتماً إلى مضاعفة كوارث المجاعة التي تعاني منها المنطقة أصلاً.
إلا أنه على الرغم من كل تلك الاستعدادات، فإن دبلوماسيين غربيين لا يرون في الجيش الأثيوبي المقدرة على تحقيق تقدم عسكري يذكر ضد الأريتريين، بل على العكس من ذلك فإن مستقبل ماريام السياسي -حسب تقديراتهم - سيكون متوقفاً على نتيجة ذلك الهجوم المزعوم
ومما تجدر معرفته أن الجيش الأثيوبي يعد ثاني أكبر جيش في القارة الأفريقية من حيث العدد كما أنه يأتي بالمرتبة الثانية من حيث العدة بعد جيش جنوب أفريقيا، فقد أغدقت عليه أمريكا منذ منتصف هذا القرن ما قيمته بلايين الدولارات من المساعدات العسكرية ومثلها فعلت روسيا في أعقاب قيام الثورة الشيوعية عام 1974 حينما تنكرت للأريتريين وانقلبت ضدهم طمعاً

فيما حصلت عليه فيما بعد من تسهيلات عسكرية في أرخبيل دهلك، ومن تغلغل في القارة الأفريقية.

لمحة موجزة عن تاريخ أرتيريا الحديث:

تشغل أرتيريا مسافات طويلة من الساحل الغربي للبحر الأحمر، ويعتبر ميناءا »مصوع« و »عصب « فيها من أهم الموانئ عليه، كما يعتبران المنفذ البحري الوحيد لدولة أثيوبيا على البحر المذكور.

احتل الإيطاليون أريتريا عام 1890 م وأطلقوا عليها اسمها الذي تعرف به اليوم، ومكثوا فيها حتى أخرجهم الإنكليز منها بعد انتصارهم عليهم في الحرب العالـمـية الـثانـية عـام 1941 م، ولقيت دولتا الاحتلال (إيطاليا وبريطانيا) من أهالي أريتريا مقاومة شديدة منذ اليوم الأول الذي وطأت فيه أقدامهم أرضها ولم يتمكنا طيلة فترة تواجـدهـمـا هـناك من إحكام السيطرة عليها.

وإبان فترة الاحتلال تلك نشأت بين الأريتريين عدة فئات سعت إلى إجلاء القوات الغازية عن بلادهم وكان من بين تلك الفئات فئة أطلق عليها في حينها الرابطة الإسلامية اتخذت من عرب أريتريا قاعدة انطلاق لها، ومما تجدر معرفته أن هذه الفئة أو الجمـاعـة كانـت الوحيدة على الساحة التي انفردت دون غيرها عن الفئات بمطلب استقلال أريتريا المطلق ولم تكن لها أية صلات مع سلطات الاحتلال أو مع أثيوبيا على خلاف البقية.

وفي نهاية الأربعينيات شهدت أريتريا أحداثاً ساخنة فقد كانت مسألة مستقبلها السياسي موضوع الساحة لدى الدول القوية الأربعة (فر نسا، بريطانيا، روسيا، أمريكا) الذين منهم تشكلت لجنة لتسوية قضيتها. وبعد خلاف وجدل طويلين وافقت الأمم المتحـدة-تـحـت ضغوط اللجنة-على تبني حلى وسط يأخذ بالاعتبار مصالح أثيوبيا الإقليمية والاقتصادية في المنطقة وينص على دخول أريتريا في اتحاد كونفدرالي مع أثيوبيا على أن يـكـفـل ذلك الاتحاد حقوق أريتريا كاملة بما في ذلك حق إنشاء حكومة محلية تـتولى الإشـراف على إدارة كافة شؤون البلاد باستثناء شؤون الدفاع التي نص القرار على إبقائها بيد حكومة أديس أبابا. إلا أنه ما أن دخل عام 1955 م حتى كان الدستور الأثيوبي قد شهد تغيرات جذرية لم تدع معها إلا جزءاً ضئيلاً جداً من الحقوق التي نص عليها قرار الأمم المتحدة المذكور، فلم تعد الحكومة الأريترية قادرة على اتخاذ أبسط القرارات المحلية إلا بإذن مسبق من حكومة أديس أبابا. وفي شـهـر أيـار مـن عـام 1960 م صوت مجلس الشعب الأريتيري وبالإجماع!! على إعادة تسـمـية الحكومة الأريترية باسم الإدارة الأريترية، ويعلم الأريتيريون جيداً أن قراراً كهذا ما كان ليتخذ لولا الضغوط الشديدة التي مارستها الحكومة الأثيوبية. وجاء عام 1962 م ليشهد قطف ثمار تلك الضغوط وذلك بضم أريتريا رسمياً إلى أثيوبيا وإعلانها الإقليم الرابع عشر فيها.

ولا تخلو ألاعيب سياسية واستهتار بحقوق الشعوب كهذا من دور بريطاني في العادة، فقد كان المندوب السامي البريطاني في أريتـريـا - وكان يهودياً - في الفترة التي سبقت قيام إسرائيل وراء إقناع هيلا سيلاسي إمبراطـور الحبشـة آنئـذ بضم أريتريا إلى ملكه وجعلها منفذاً مستقبلياً وحيداً للدولة اليهودية - التي كانت تهم بريطانيا بإقامتها في فلسطين -على قارة أفريقيا، ومن هنا تتضح حوافز بريطانيا في الأمـم المتحدة وراء ضم أريتريا.

وفي مطلع الستينيات وفي ظروف كهذه التي شهدت نقضاً للـعهـود وسلـباً للحقوق انبثقت جبهة التحرير الأرتيرية وكان أبناء أريتريا المسلمون شعلتها الأولى، فعلى أكتافهم قامت وبأيديهم سطرت الملاحم الأولى، فقد أدركوا ومن الوهلة الأولى أن هيمنة الـفـئة الصليبية الحاكمة في أديس أبابا(1) سيعنى في المستـقـبل القريب اجتـثاثهم من دينهـم ولـغـتـهـم وتقاليدهم، ولم يخطئ المسلمون الأريتريون الـظـن بـأعـدائـهـم، فمنذ ذلك الحين ومجازر الأثيوبيين في حق العزل منهم والاعتداء على حرائرهم لا تعـرف لها حدود.

لقد سلب المسلمون هناك من كل حقوقهم حتى لغتهم لم يعد لهـا وزن يـذكـر في كثير من جوانب الحياة بما في ذلك التعليم، هذا على الرغم من أن الأريتريين يشـكـلـون نسبة لا يستهان بها من مجموع السكان البالغ حوالي 30 مليون. إلا أن الحكومة تحـاول إظهارهم أمام العالم بمظهر الأقليات الصغيرة زاعمة أنهم لا يشكلون سوى نسبة بسيطة من المجموع العام للسكان، علماً أنه لم يعرف عن الحكومة الأثيوبية قيامها في يوم ما بإجراء عملية إحصاء للسكان يتبين من خلالها نسب الطوائف المختلفة في البلاد.

1- يشكل المسلمون ما يقرب من نصف سكان أثيوبيا.

المسلمون في الاتحاد السوفييتي

منذ مدة ووسائل الإعلام على اختلافها تتناقل أنباء القلاقل وموجات الاحتجاج العرقية التي تسود عدداً من جمهوريات ما يسمى بالاتحاد السوفييتي، ذلك »الاتحاد« الذي يضم أكثر من مائة طائفة عـرقـية تـتحدث بما لا يقـل عن ثمانـيـن لغة، وتكتب بما يزيد على ثمانية عشر نوع من الحروف الأبجدية، وتدين بديانات شتى، بل إن أتباع الدين الواحد متفرقون إلى عشرات الملل المختلفة، فملل النصارى- على سبـيـل المـثال لا الحصر -تربو على (152) ملة.

بنية غريبة تدفع للتساؤل حقاً؛ إذا كان هذا هو مدى التباين بين شعوب هذا الاتحاد، فعلى أي من أسس الوحدة ينهض هذا الكيان إذاً؟!!

ولرب قاسم مشترك يجـمـع بـيـن هــذه الشعوب والنحل ألا وهو أمنـيـة الفكاك من هيمنة الماركسية الحمراء التي ابتليت بها منذ ما يربو على نصف قرن.
فمنذ ما يقارب العام ونصف العام وزعـمـاء الكرملين يواجهون ظاهرة جديدة لم يألفوها من قبل تمثلت في اندلاع أعمال الشغب ومظاهــرات اتخـذت مــن جمهوريات لاتفيا، لتونيا، كازاخستان، أستونيا، أذربيجان، وأرمينيا مسرحاً لها، راوح فيها المتظاهرون في مطالبهم بين مطالب بمنح مزيد من الحريات، إلى داع إلى حكم ذاتي، إلى ثالث يطالب بانفصام تام عن هذا الاتحاد كما حصل في جمهورية كازاخستان المسلمة في أواخر عام 1986م.
ولعل حديثاً عن شعوب غير مسلمة هناك لا يهمنا كثيراً - نحن المسلمين -بقدر ما تهمنا أحوال إخواننا المسلمين في الجمهوريات المسلمة القابعة تحت نير الشيوعية.
إلا أنه على الرغم من كل ما حدث في تلك الجمهوريات من خروج على طاعة الكرملين؛ مما يمكن اعتباره نقطة انقلاب في منحنى هيمنة هذه الإمبراطورية ونفوذها، غير أن الخطر الحقيقي في حسابات الرفاق في موسكو، والذي قد يزعزع كيانهم؛ بل ويقوضه يوماً ما هو ذلك القادم من صوب جمهوريات آسيا الوسطى المسلمة المبتلاة بحكمهم البغيض، ذلك الخطر المحدق المنبعث من تشبث شعوب تلك الجمهوريات المستمر بدينها، على الرغم من محاولات حوالي ثلاثة أرباع قرن من الزمن لثنيهم عن ذلك.
ولعل هذا هو السبب الذي دفع زعيم الكرملين الحالي إلى شن حملته الهوجاء على المسلمين الملتزمين قبل ما يقرب من عام ونصف عند توقفه في جمهورية كازاخستان وهو في طريقه إلى الهند، حينما شدد على ضرورة القضاء على كل الظواهر الدينية (يقصـد الإسـلامـيـة) والعمل جدياً على نشر الأفكار الإلحادية، كما وجه اللوم إلى بعـض الكـبـار من مـسـؤولي الحزب ممن وصفهم بالفشل في ترسيخ مبادئ الحزب، والذين كانوا -على النـقـيـض من ذلك - يساهمون في بعض المناسبات الدينية، بل ويدعـون إلـيـهـا أحياناً.
ولـعـل زعـيـم الكرملين يشير بخطابه ذلك إلى ظاهرة اكتظاظ المساجد بالمصلين الآخذة بالاضطراد، لا سيما في المساجد غير الرسمية، والتي غالباً ما يتخذها المسلمون في منازلهم وبشكل يصعب على أجهزة الأمن مراقبتها.
وتسلك السلطات الشيوعية في محاربتها لهذه الظواهر مـسـلك الـجـد، فكـثـيراً ما أُقصي مسؤولون كبار عن مناصبهم لأسـباب بسـيطة لا تـتجاوز قيام بعضهم بإحياء حـفـلات في مناسبات دينية، كمناسبة حلول شهر رمضان مثلاً! ولا تخفي السلطات الشيوعية قلقها حيال تزايد معدل الولادات لدى المسلميـن في هـذه الجمهـوريات والذي قد يفوق مجموع معدل الولادات في باقي الجمهوريات مجتمعة - بما في ذلك روسيا - مع حلول نهاية هذا القرن،

في الوقت الذي فشلت فيه كل الجهود التي بذلـتهـا الحكـومة لإقـنـاع الأمـهـات الروسيات - على وجه الخصوص - لزيادة الإنجاب إلى أكثر من اثنين، علماً بأن معدل الإنجاب لدى الأمهات المسلمات تجاوز الخمسة، وكثيراً ما تحوز أمهات مسلمات على جائزة الأمومة لإنجابهن عشرة أبناء. وتنبع مخاوف الحكومة الروسية من كون أن كبريات مرافق الدولة وفي مقدمتها الجيش والمؤسسات الاقتصادية آخذة في الاعتماد وبشكل مكثف على الشبان المسلمين في إدارة شؤونها، هذا بالإضافة إلى أن نسبة بسـيطـة جـداً مـن هـؤلاء الشبان يحسنون اللغة الروسية، في حين أن الغالبية العظمى منهم لا تـأبـه بـتـعلّمها على الإطلاق مما يجعل أمر ولائهم للإمبراطورية الروسية موضع شك متـزايد لـدى الـزعــمــاء الروس، في وقت تتناقص فيه نسبة الأغلبية الروسية في ما يسمى بالمجتمـع السوفـيـيـتي بشكل قد يهبط إلى مادون نسبة إلى 48% مع حلول عام 2000 م. في حين تشير إحصائيات عام 1979 م أن عدد المسلمين في أنحاء الإمبراطورية قد جاوز الـ 43 مليوناً، وأنه مع حلول عام 2000 م سيشهد الاتحاد السوفييتي ولادة طفل مسلم كل ثانية وهو ما يشكل نصف معدل المواليد لدى الطوائف الأخرى مجتمعة، وإذا ما تذكرنا هذا الكم الهائل من المواليد لدى المسلمين وتذكرنا أن هؤلاء المسلمين مازالوا - وبعد مرور أكثر من نصف قرن على احتلال روسيا لبلادهم - في معزل شبه تام عن الجنس الروسي وباقي الطوائف، لاسيما في الجانب الاجتماعي من حياتهم، وأن هؤلاء المسلـمـين مازالـوا يـكـنـون الـود لإخوانهم في البلاد المسلمة المجاورة كأفغانستان، ويتحمسون لظهورهم على أعدائهم، الأمر الذي يقلق موسكو كثيراً؛ ارتسمت لدينا أبعاد القلق الذي يساور الشيوعيين حيال مستقبل إمبراطوريتهم، كما تبين لنا خطورة الدور الذي يمكن أن يلعبه أولئك المسلمون - لو اتحدوا - في تقويض صرح أكبر دولة استعمارية همجية عرفها العصر الحديث، والله غالب على أمره.

أخبار حول العالم

الجهاد الأفغاني

تمكن المجاهدون الأفغان من حسـم أهـم مـعـركة اسـتـراتـيـجية لصالحهم منذ بداية الغزو الشيوعي الروسي لبلادهم قبل ما يقرب من تسعة أعوام وذلك بتحـريرهم لحامية باركوت الواقعة في إقليم كونار بعد حصار مستمر لها دام ثمانية سنوات. وقـد جـاء سقـوط باركوت ليكون الرابع من نوعه خلال أسبوعين عقب سقوط (معروف، أتاغار) وليسجل رقماً قياسياً في عدد سقوط المواقع ذات الأهـمـيـة الاسـتـراتيجية في فترة وجيزة كهذه، ويضع

المراقبون العسكريون معنويات الجيش الأفغاني المتداعـية سبباً رئيسياً وراء سقـوط الحاميـات تلك.
وتمثل حامية باركوت الحصينة بوابة الدخول إلـى إقـلـيـم نورستان، وكـانت فيمـا مضـى تستخدم لقطع طرق إمداد المجاهدين القادمة من باكستان،
وبـنـاء علـى ما تقـولـه مصادر مـوثـوقـة لدى المجاهدين فإن عشرين طائرة عمودية روسية قامت بعـمـلـية إخلاء أعـضـاء الحزب الشيوعي من بين (700) رجل يقومون بالدفاع عن الحامية، كما ذكر قائد عمليات المـجـاهـديـن هناك أن ما يزيد على (300) فرد من الجيـش الأفـغـاني لـجـأوا إلى صفـوف المجاهدين خلال المعركة.
ومن جهة أخـرى فإن حكومة كابول باتت تعيش شبح أجواء الفترة التي ستعقب انسحاب الروس وتوقف مـسـاعـداتهم العسكرية لاسيما سلاح الطيران، ومع أنه من المتوقع أن يترك الروس وراءهم العديد مـن الـطـائرات وآلات الحرب الأخرى إلا أن النقص الشديد في عدد الطـيـاريـن الأفـغـان وطواقـم الـصيانـة سيجعل استخدام سلاح الطيران بشكل فعال خياراً مستحيلاً أمام كابول.
وتهم كابول - وفق خطة دفاعية استـراتـيجـيـة رسمتها موسكو لها - بسحب قواتها إلى داخل المدن الرئيسية ومحاولة الاحتماء فيها أمـام ضربـات المجاهـديـن. إلا أن المتتبعين لتطورات الوضع هناك يرون أن تحول معنويات الجيش الأفغاني المنهـارة دون نجاح تلك الخطة .
ديلي تلغراف 25/4/1988
الأندبندنت 26/4/1988

على الرغم من عداء السوفييت لكل الأديان .. لكن عداؤهم للإسلام أشد

يقول قسطنطيـن خارتـشـوف رئيـس مجـلـس إدارة الشؤون الدينية التي تقدم تقاريرها إلى الحكومة السوفييتية (وهو رجل معروف باعتداله):
... إن قـادة الحـزب الـشـيوعي المحليين قـد انساقوا وراء عاطفتهم أكثر من اللازم أحياناً لإكراه الناس على الإلحاد، وبـنـاء عـلـى الأرقـام الـتي نشـرت للـمـرة الأولى في الاتـحـاد السوفييتي في شهر نوفمبر (1987) فإن عـــدد المؤسسات الدينية المعترف بها قانونياً تقلص بنسبة 34% خلال ربع القرن الأخير، حـيث إن عددها الحالي يصل إلى حوالي 15 ألف.
ومن أكبر الأديان التي تضررت الإسلام مـما أدى إلـى انتشار الملالي سرياً في آسيا الوسطـى انتشاراً واسعاً، وهم يسببون مشاكل للحكومة!.

وتـتـعـرض شـعـائـر وطقـوس الـعـبتادة لتدى الـمسلمين إلى هجوم قوي في وسائل الإعلام في جمهوريات آسيا الوسطى.

احتدام شدة المعارك في أرتيريا

في الوقت الذي تـسـتـعـد فـيه أديس أبابا لاستضافة احتفالات الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس منظمة الوحدة الإفـريـقـيـة (23-26/5/1988) بـاتـت علـى وشك فقدان السيطرة التامة على إقليمي أرتيريا وتيجري الشماليين في خضم حربها مع أهالي الإقليمين .
فقد فقدَ الجيش الأثيوبي السيطرة على الطريق الرئيسي المـوصل بين أديس أبابا والـبـحـر الأحمـر بالإضافة إلى تقهقره عن العديد من المـدن الرئيـسـيـة خلال الفترة الممتدة من شهر شباط الـمـنـصرم حتى الآن. وقـد كانت الحـكـومة الأثيوبية قد أمرت جميع الأثيوبيين في منتصف شـهـر أيـار (مايو) بالتبرع بمرتب شـهـر واحد وذلك مسـاهـمـة في دعم المجهود الحربي، كما أعـلـنـت حالة الطوارئ في الإقليمين المذكورين، ورفعت شعار: كل شيء من أجل الحرب. وتبدو حـكـومـة أديـس أبابا المركزية - ولأول مرة منذ اندلاع الحرب هناك قبل 26 عاماً - وكأنها على عتبة خـسـارة الجـولة الأخيرة من القتال. ويقول المراقبون إن كل شيء مرتبط بإمكانية الجيش الأثيوبي على شـن هـجـوم معاكس لاستعادة الطرق والمدن الرئيسية التي فقدها.
هذا وكان الأثيوبيون قد انسحبوا من جميع المدن الواقعة إلى الشرق. من مدينة (كرن) (انظر الخريطة) التي يقول الأرتيريون أنهم يستعـدون لـدخولهـا، ومن الـمعلوم أن جميع الطرق المؤدية إلى مدينتي أسمرة (العاصمة) وكرن قد قطعت وأن تموين الـمدينتين قد أصبح متعذراً إلا من طريق الجو.
وتأتي هذه الانتكاسات العسكرية في وقت أخذت فيه روسيا تفكر ملياً في الحد من نفقاتها العسكرية الضخمة الناتجة عن تورطاتها في نزاعات داخلية كهذه . ولا سـيـمـا في أعقاب الصفعات التي تلقتها على أيدي الأفغان.

الأندبندنت 21/5/1988

ارتفاع هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي

جنيفـ/رويتر

قالت اللجنة الدولية لشؤون الهـجـرة يـوم 2/5/1988 م أن الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفييتي قد ارتفعت في شهر نـيسـان لـتـصـل إلى (1077) مـهـاجـر وهو أعلى رقم تصله الهجرة في شهر واحد منذ شهر أيار من عام 1981 م عندما بلغ عدد المهاجرين (1140) . وكـان (944) يـهـوديـاً قد غادروا الاتحاد السوفييتي في شهر نيسان من هذا العام في حين بلغ عدد اليهود الذين غـادروا الاتحـاد السوفـييتي ابتداءً من هذا العام (3402) بالمقارنة مع (1431) غادروا خلال الأشهر الأربع الأولى من عام 1987. كما بلغ عدد اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفييتي خلال العام الماضي (8011) وهـو يشكـل ثمانية أضعاف العدد الذي غادر في عام 1986 م كما يشكل أكبر عـدد مـن الـيـهود سمح لهم بالمغادرة منذ عام 1981 م عندما بلغ عددهم (9560).

التايمز 3/5/1988 م.

بأقلام القراء

التماس البركة في الوقت

صالح عبد الهذلول

كثير من أهل الخير والصلاح وخاصة من تكون الدعوة إلى الله هي شغلهم ومعظم اهتمامهم يشكون من قلة الوقت وسرعة مروره دونما نتائج تستحق كل ذلك، بل إن بعضهم يتحسر أحياناً بسبب فوات كثير من الفرص وترك كثير من الأعمال بسبب ضيق الوقت.

ولكن مما ينبغي معرفته في هذا الشأن وملاحظته أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- حينما رغـب فـي قيام الليل مثلاً وصلاة الوتر أو قراءة القرآن، لم يكن جاهلاً بمشاغل الداعية أو أنه قال ذلـك الـكـلام من فراغ، بل إنه -صلى الله عليه وسلم- كبير الدعاة إلى الله ومع ذلك رغب فيما رغـب فـيه، هذه ناحية، وأخرى أن جهد البشر قاصر وطاقتهم محدودة، فلهذا لابد من التزود من مـثـل هـذه المحاطِّ التي ذكرها الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعملها، وإلا فالمخالفة والضعف، وربما غيرها كذلك.

ثم إنه لا يستبعد أن قلة البركة في الوقت والتي يشكو منها الدعاة ناتجة عن الارتجالية في توزيعه، لا تلمس هدى النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلـك، نعـم قد يمر على الداعية وقت ينشغل فيه عن قراءة القرآن أو صـلاة الـوتـر أو يـعـجـز عن قيام اللـيـل أو... بسبب انهماك في أعمال الدعوة لكن هذا لا يكون دائماً، وإنما هي حالات تطرأ، كمـا ورد عـــن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنها كانت تؤخر قضاء أيام من رمضان حتى يـأتــي عليها شعبان

لانشغالها بأعمال الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ولكن ذلك أحياناً وليـس غالباً.
ومرة ثانية أقول: إن توزيع الوقت لنا - نحن المسلمين - يجب أن يكون أصيلاً مستلهماً من شريعتنا ومتبعاً فيه هدى الرسول -صلى الله عليه وسلم-.
وسأذكر مثالاً على التخبط عندنا في توزيع الوقت: وهو ترك صلاة الوتر وعدم قيام الليل وإن من أسباب ذلك وأقواها النوم متأخراً، وهذا لا شك خلاف هدي الرسول -صلى الله عليه وسلم- - إلا ما استثني من ذلك - فتجد كثيراً من أهل الصلاح لا ينام إلا متأخراً، وربما منعه شغل يسير أو تشاغل حتى منتصف الليل أو بعده حتى لا يقال نام مبكراً أو يعرف عنه التبكير بالنوم! !
صحيح أن الداعية يجب أن يبذل نفسه ووقته في سبيل الله ولكن يراعي في ذلك تلمس السنة ويراعي في ذلك أيضاً تفاضل الأعمال، ثم إذا جاءه عارض وشـغله عـن التبـكـيـر أحياناً، فلا ينبغي أن يعتاد ذلك.
ثم لنعلم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- عوتب في موقفه من عبد الله أم مكتوم -رضي الله عنه- حينما جاءه ليعلمه الرسول مما علمه الله، وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- مشغولاً مع صناديد قريش يطمع في إسلامهم، فعاتبه الله في ذلك عندما ردَّ وعبس في وجه ابن أم مكتوم، فلنتذكر مثل هذا الموقف عندما يجيء أحد ليسمع منك أيها الداعية كلام الله أو يشكو إليك أمراً في دينه فتمنعه أو تغلق الباب دونه بحجة النوم مبكراً.
هذا والله أسأل أن يمن علي وعلى إخواني المسلمين بالهدى والسداد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

تمت بحمد الله
